

هكذا غنني

ماغور

* * *



ترجمة

خليفة محمد التليسي

المؤسسة الوطنية للكتاب
الجزائر

المركز العربي للكتاب
ليبيا - تونس

Bibliotheca Alexandrina

0111763

Handwritten text in Arabic script, possibly a signature or a list of items, including the word "مناخ" (climate).

مكتبة ختم طائفة

فكرات ختم طاعن

ترجمة
خليفة محمد التليسي

الهيئة العامة لكتبة الاسكندرية	
851.14	رقم التصنيف
5.52	رقم التسلسل
٤٩٠٣٩	

المؤسسة الوطنية للكتاب
الجزائر



الدار العربية للكتاب
ليبيا - تونس

رقم الايداع بدار الكتب الوطنية

89/673

الجمهورية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى

جميع الحقوق محفوظة دار العربية للكتاب

1989



- توارىخ هامة في حياة طاغور

1861 في يوم 6 مايو من هذا العام ولد الشاعر بمدينة كلكتا في أسرة معروفة بالعراقه والوجهة والمكانة العلمية الأدبية . فقد كانت لوالده مكانة دينية واجتماعية بارزة في إقليم البنغال ، كما تميز إخوته وأخواته بالنبوغ الأدبي والفني والموسيقي ، مما هيا له الفرصة لأن يتعرع في بيئة غنية بالثقافة متفتحة على مختلف التيارات والاتجاهات الأدبية والفلسفية الهندية والشرقية والغربية .

1875 وفاة والدته . وكان حينذاك في الخامسة عشرة من عمره . نشر بواكيره الشعرية الأولى في إحدى المجلات الأدبية التي كانت تصدر بكلكتا .

و حين قارب العشرين من عمره نشر أولى مجاميعه الشعرية بعنوان (أغاني الصباح) ثم أتبعها (بأغاني المساء) فكان بذلك يبدشن عهدا جديدا في مسار الشعر البنغالي الحديث .

1877 أرسله والده إلى انجلترا لدراسة القانون . فلم يوفق إلى التخرج فيما أراد له والده من اختصاص ولم يلبث أن عاد إلى بلاده دون شهادة . ولكنه عاد بمحصيلة وافرة من المعلومات والتجارب التي غذت اهتماماته في مجالات الأدب

• انظر المقدمة في الجزء الأول من المجموعة .

والموسيقى . وبعد إقامة استمرت أربعة عشر شهرا عاد إلى بلاده مواصلا نظم الشعر وكتابة الدراسات الأدبية .

1883 وفي 9 ديسمبر من هذا العام تزوج مريتا ليني ديبى .

1890 قام برحلة ثانية إلى أوروبا زار فيها إنجلترا مارا بفرنسا وإيطاليا . وذكر الرحلات هنا أمر هام في حياة طاغور ، ومحققه من شهرة عالمية ، وقد اتخذ من هذه الرحلات جسرا يصله بكبار الأدباء في العالم والتعريف بأدبه ورسالته في أرجاء المعمورة .

1891 عين نائبا لرئيس أكاديمية الآداب في البنغال ومن ذلك الحين انصرف انصرافا كاملا إلى النشاط الأدبي وكرس جهوده لخدمة الحركة الأدبية والعلمية في بلاده التي أخذ يعنى بشئونها السياسية .

1901 أسس بشأنتي نيكثان مدرسة صارت فيما بعد الجامعة الدولية فسفاجاراتي .

1902 وفاة زوجته .

1904 وفاة ابنته .

1905 وفاة والده .

1907 وفاة ابنه الأكبر .

وقد كان لهذه الأحداث المحزنة أثر عميق في نفسه ، وشعره ينعكس بشكل حاد في كثير من قصائده . وفي وفاة ابنته كتب ديوانه الطفل الذي ترجمه إلى الإنجليزية بعنوان الهلال .

1909/1912 كتب خلال هذه الفترة ديوانه جنتجالي (قربان الأغاني) ونشره باللغة البنغالية 1910 وهو العمل الذي صنع له شهرته العالمية ونال به جائزة نوبل للآداب فكان أول شاعر شرقي يظفر بها .

1912 قام بزيارته الأولى للولايات المتحدة التي فيها جملة من المحاضرات تحول إلى إنجلترا في زيارة ثانية حيث التقى بالشاعر عزرا باوند ووليام بتلر تيس وهما الشاعران اللذان نهضا بعبء تعريف الغربيين به وكان طاغور قد قام أثناء الرحلة بترجمة

بعض أشعاره إلى الإنجليزية وحين اطلع عليها الشاعر الإنجليزي يتس تحمس لها .

1912 في نوفمبر من هذا العام نشر ديوان جتنجالي بالإنجليزية بتقديم الشاعر الإيرلندي يتس .

1914 منح طاغور جائزة نوبل على هذا الديوان وقد خصص ربع الجائزة لتطوير جامعته المعروفة ومنحته جامعة كلكتا لقب الدكتوراه الفخرية .

1915 منحه الحكومة البريطانية لقب (سير) وهو اللقب الذي أعاده إلى الحكومة البريطانية عقب الأعمال القمعية التي قامت بها في سنة 1919 بإقليم البنجاب .

1916 زار اليابان .

1917 زار الولايات المتحدة مرة ثانية وألقى سلسلة من المحاضرات . كما انتخب في هذه السنة رئيسا للمؤتمر الوطني بكلكتا .

وعني في هذه الفترة بالعمل على تطوير جامعته وتوسيعها، فلم يكتف برصد ربع جائزة نوبل والحقوق العائدة فقام بجولة جديدة حول العالم استغرقت أربعة عشر شهرا لجمع التبرعات لهذه الجامعة .

1921 تمكن طاغور بعد جهد كبير من افتتاح جامعته العالمية فيسفاهاراتي وهي تسمية استوحاها طاغور من أحد الأبيات الشعرية السانسسكريتية وتعني المكان الذي يتحد فيه العالم في وكر واحد .

1922 زار فرنسا وإنجلترا والدانمرك والسويد وألمانيا .

1924 زار ماليزيا والصين واليابان .

1925 حل ضيفا على الحكومة الفاشية الإيطالية وحسبت عليه تصريحاته السياسية التي تبسم بالسذاجة وطيبة النفس أكثر مما تعبر عن الموقف السياسي المناصر .

كما عين في هذه السنة رئيسا للمؤتمر الفلسفي بالهند .

1926 قام خلال هذه الفترات بعدة رحلات حول العالم زار خلالها سويسرا ، النمسا ،
وفرنسا حيث كان ضيف الكاتب الفرنسي الشهير رومان وولاند ، ثم زار
أيضا إنجلترا والبرويج ، ويوغسلافيا ، بلغاريا ورومانيا ، وتركيا ، واليونان
ومصر حيث كان موضع حفاوة من الأوساط السياسية والأدبية واحتفى به
الشاعر أحمد شوقي في بيته كريمة بن هاني ، وزار أيضا ماليزيا والصين
واليابان وكندا والهند الصينية والدانمرك وروسيا والولايات المتحدة .

وكان خلال هذه الرحلات يقوم بالتبشير بمبادئه ويقراً شعره ، ويجمع التبرعات
لجامعته ، ويقوم العلاقات مع أبرز الشخصيات الأدبية والفكرية والسياسية في
عصره . وعرض في أوروبا وأمريكا بعض لوحاته مقدما بذلك وجهها آخر من وجوه
مواهبه المتعددة .

1928 بدأ في ممارسة هواية الرسم .

1929 رحلات إلى كندا واليابان وسامويون .

1930 عودة إلى إنجلترا وفرنسا وألمانيا وسويسرا وروسيا .

عرض رسومه في برمنجهام ولندن وبعض العواصم الأوربية .

1932 رحل إلى العراق وإيران بطريق الجو . وفاة حفيده الوحيد .

1933 وكان في هذه المرحلة قد جاوز السبعين من العمر فاستراح إلى الإقامة في بلاده
وكف عن التجوال سوى رحلة قصيرة قام بها إلى سيلان .

1940 آخر لقاءات طاغور مع غاندي في ساتي نكتان . جامعة أكسفورد تعقد اجتماعا
في سانتينيكنتان لمنحه درجة الدكتوراه الفخرية . وهو شرف لم يحظ به غيره
من قبل ، فالعروف أن الجامعات تمنح هذا التكريم في مقارها التاريخية .

1941 في يوم 17 اغسطس من هذا العام توفي الشاعر العظيم في الثمانين من عمره في
البيت الذي ولد فيه فبكاه العالم وفقد فيه شاعرا من شعراء الإنسانية الكبار .

1948 اغتيال غاندي .

1949 إعلان استقلال الهند .

من قصائد الأمل والتّحدّي

من شعر الأمل والتحدي

الْبُحُورُ يَذُوبُ لِيَتَحَلَّلَ فِي الْعِطْرِ
وَالْعِطْرُ يَذُوبُ لِكِي يَلْتَحِمَ بِالْبُحُورِ
وَالنَّعْمُ يَسْعَى لِمُعَانَقَةِ الْإِيقَاعِ
بَيْنَمَا يَعُودُ الْإِيقَاعُ مُتَدَفِّقًا فِي النَّعْمِ
وَالفِكْرَةُ تَبْحَثُ عَنْ هَيَأْتِيهَا فِي الصُّورَةِ
وَالصُّورَةُ تَبْحَثُ عَنْ حُرِّيَّتِهَا فِي الْفِكْرَةِ
وَاللَّانِيهَائِي يَبْحَثُ عَنْ لَمَسَةِ النَّهَائِي
وَالنَّهَائِي يَبْحَثُ عَنْ انْعِتَاقِهِ فِي اللَّانِيهَائِي
أَيَّ مَأْسَاةٍ هَذِهِ تَجْرِي بَيْنَ الْخَلْقِ وَالتَّدْمِيرِ
وَهَذِهِ الْحَالَةُ بَيْنَ الْفِكْرَةِ وَالصُّورَةِ
العُبُودِيَّةُ تُصَارِعُ الحُرِّيَّةَ
وَالحُرِّيَّةُ تَبْحَثُ عَنْ رَاحَتِهَا فِي العُبُودِيَّةِ

قاهر الموت

عِنْدَمَا كُنْتُ بَعِيداً عَنْكَ
كُنْتُ أَفْكَرُ أَنَّكَ قَاهِرٌ لَا يُغْلَبُ
وَقَاسٍ لَا يَرْحَمُ
وَأَنَّ الْعَالَمَ كُلَّهُ يَرْتَجِفُ تَحْتَ قَدَمَيْكَ .
لَقَدْ كُنْتَ قَاسِيًا حَقًّا
وَكَانَ لِهَيْبِكَ النَّهْمُ
يَخْتَرِقُ قَلْبَ الْمَحْرُومِ
وَحَرَبَتُكَ تُنْزِلُ الرَّعْدَ
وَلَكِنِّي اقْتَرَبْتُ مِنْكَ بِقَلْبٍ مُرْتَجِفٍ
وَكَانَ جَيْبُكَ الْمُقَطَّبُ يُنْذِرُ بِالِدَّمَارِ الْقَرِيبِ
وَهَبَّتْ عَاصِفَةٌ

فَاهْتَزَّ لَهَا وَجُودِي كُلَّهُ
وَسَأَلْتُ
أَلَمْ تَعُدْ تَبْلُغُنَا آخِرَ رُغُودِكَ؟
وَقَصَفَ الرَّعْدُ
أَهَذَا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ؟ أَلَيْسَ هُنَاكَ شَيْءٌ آخَرَ؟
وَعِنْدَمَا رُفِعَ سَيْفُكَ
ذَهَبَ خَوْفِي
لَقَدْ ظَنَنْتُ أَنَّكَ أَكْبَرُ مِنِّي
وَنَزَلْتَ مِن عَلَيَّا نِكَ إِلَى الْأَرْضِ
حَيْثُ أُقِيمُ
لَقَدْ صِرْتَ الْيَوْمَ فِي نَظْرِي مَحْلُوفًا صَغِيرًا
وَخَوْفِي مِنْكَ قَدْ تَبَدَّدَ
وَمَهْمًا كُنْتُ كَبِيرًا
فَلَنْ تَكُونَ أَكْبَرَ مِنَ الْمَوْتِ
وَلَكِنِّي أَنَا؟

أنا أكبر من الموت
وسأعلن ذلك عندما أغادر هذه الأرض

* * *

سؤال

يَا إِلَهِي
لقد أَرْسَلْتَ رُسُلَكَ إِلَى هَذَا الْعَالَمِ الْكَرِيهِ
عَصْرًا بَعْدَ عَصْرٍ
وَقَدْ هَتَفُوا فِي النَّاسِ :
اطْرَحُوا مِنْ قُلُوبِكُمْ كُلَّ رَغْبَةٍ فِي الشَّرِّ
وَاجْفِرُوا وَأَحْيُوا
إِنَّهُمْ سَادَاتُنَا
وَفِي تَقْدِيرِنَا لَهُمْ
نَحْفَظُ ذِكْرَهُمْ
وَلَكِنِّي فِي هَذَا الْيَوْمِ
سَرَّحْتُهُمْ جَمِيعًا
بِتَحِيَّةِ فَارِعَةَ جَوْفَاءِ

لَقَدْ رَأَيْتَ الشَّرَّ
يَقْتُلُ بِحُبِّهِ الْإِنْسَانَ الْأَعْزَلَ
وَالسُّلْطَةَ الْوَقِيحَةَ تَخْتَقُ صَوْتِ الْعَدْلِ
الَّذِي كَانَ يَبْكِي فِي عُرْبَةٍ
وَرَأَيْتُ الشَّبَابَ الْغَضَّ يَحْتَجُّ فِي لَوْعَةٍ جَامِحَةٍ
وَيَضْرِبُ رَأْسَهُ ضِدَّ الصَّخْرِ الْجَامِدِ
الْيَوْمِ
تَعَطَّلَ صَوْتِي
وَصَمَّتْ نَائِي
وَاخْتَفَى عَالَمِي فِي حُلْمٍ شَرِيرٍ
وَمَعَ ذَلِكَ فِإِنِّي أَسْأَلُكَ مُتَضَرِّعًا بَاكِيًا
هُؤَلَاءِ الَّذِينَ سَمَّمُوا جَوْكَ
وَأَطْفَأُوا نُورَكَ
هَلْ غَفَرْتَ لَهُمْ وَعَفَوْتَ عَنْهُمْ؟
وَهَلْ شَمَلْتَهُمْ حُبُّكَ؟

النداء

لَقَدْ سَأَلْتُ وَأَعَدْتُ السُّؤَالَ
أَيْنَ سَتَنْظُرُنِي عَلَى حَافَةِ الطَّرِيقِ
وَأَيْنَ سَتَبْسِطُ لِي حَصِيرَكَ
فِي زَاوِيَةٍ مُنْعَزَلَةٍ؟
مَا كَدْتُ أَسْمَعُ نِدَاءَكَ يَتَرَدَّدُ فِي الْفَضَاءِ
حَتَّى أُسْرِعْتُ إِلَى الْمَرْجِ
الْمُبَلَّلِ بِالنَّدَى
وَالْمَخَافِقِ بِالْأَضْوَاءِ
وَبَحَثْتُ عَنْكَ فِي هَمْسِ مُوسِيقَى النَّهْرِ الصَّائِبِ
وَسَمِعْتُ دَوْمًا نَائِكَ يَعْرِفُ أَنْعَامَهُ
حَيْثُ السُّحْبُ تَخْلُقُ بِالْوَايِهَا الْمُخْتَلِفَةَ عَالَمِ (مَآيَا)
وَحَيْثُ الظُّلَالُ تَتَلَاعَبُ فَوْقَ الْمَاءِ

وَطَائِرُ الْقُمْرِيِّ يَفْقِرُ عَلَى أَغْصَانِ الشَّجَرِ
وَتَوَاصَلَ نِدَاءُ نَفِيرِكَ كَمَا لَوْ كَانَ يَبْحَثُ عَنِّي
وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّ عَقْلِي لَمْ يَنْهَضْ مِنْ فُتُورِهِ
وَلَمْ أُهْرَعْ حَتَّى إِلَى الْخَارِجِ لِمُلَاقَاتِكَ
بَلْ وَقَفْتُ مُتَمَهِّلاً مُتَبَاطِئاً عِنْدَ الْبَابِ
لَقَدْ سَمِعْتُ نِدَاءَكَ هُنَاكَ
حَيْثُ يُحْتَقَرُ الْإِنْسَانُ
وَحَيْثُ النُّورُ يَمُوتُ فِي قَلْبِ الْمَكْرُوبِ
وَحَيْثُ السَّجِينِ يَبْكِي فِي زُنْزَانَتِهِ
وَحَيْثُ الْأَسَاسُ الصَّخْرِيُّ يَهْتَزُّ
وَحَيْثُ النَّارُ الدَّاخِلِيَّةُ تُرْجِفُ الْأَرْضَ
وَحَيْثُ سَلَسِيلُ الْعُصُورِ تَرْتَمِي مَكْسُورَةً

* * *

الدين الزائف

أُولَئِكَ الَّذِينَ يُعَانِقُونَ الْوَهْمَ بِاسْمِ الدِّينِ
يَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ .

حَتَّى الْمُلْحِدُ يَحْصِلَ عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ
فَلَا تَفْخَرْ بِدِينِكَ

إِنَّهُ يُوقِدُ فِي خُشُوعٍ مِصْبَاحَ الْعَقْلِ
وَيُقَدِّمُ تَمَجِيدَهُ لِأَيِّ الْكُتُبِ

وَلَكِنْ لِكُلِّ شَيْءٍ طَيِّبٍ فِي الْإِنْسَانِ
إِنَّ الطَّائِفِي يَلْعَنُ دِينَهُ

حِينَ يَقْتُلُ إِنْسَانًا مِنْ غَيْرِ دِينِهِ

وَهُوَ لَا يَقُومُ السُّلُوكَ عَلَى ضَوْءِ الْعَقْلِ
وَيَرْفَعُ فِي الْمَعْبَدِ

الْعَلَمَ الْمُلَطَّخَ بِالدَّمَاءِ

وَيَعْبُدُ الشَّيْطَانَ فِي صُورَةِ الْإِلَهِ
كُلُّ هَذَا الَّذِي تَمَّ عَبْرَ الْأَحْقَابِ وَالْعُصُورِ
مَخْجِلٌ وَوَحْشِيٌّ

قَدْ وَجَدَ مَلَاذَهُ فِي مَعَابِدِكُمْ الَّتِي تَحَوَّلَتْ إِلَى سُجُونِ
لَقَدْ سَمِعْتُ أَصْوَاتَ أَبْوَابِ التَّدْمِيرِ
تَبْلُغُ الرَّمْنَ بِمِكَنَسَتِهَا الْجَارِفَةَ
لِيَتَكَنَسَ كُلُّ الْمُهْمَلَاتِ .

كُلُّ مَا يُحَرِّرُ الْإِنْسَانَ
يُحَوِّلُونَهُ إِلَى قُبُودِ .
وَكُلُّ مَا يُوَحِّدُهُ

يُحَوِّلُونَهُ إِلَى سَيْوْفِ .
وَكُلُّ مَا يَحْمِلُ الْحَبَّ
مِنَ النَّبَعِ الْخَالِدِ

يُحَوِّلُونَهُ إِلَى سُجُونِ .
يُحَاوِلُونَ اجْتِيَازَ النَّهْرِ

فِي سَفِينَةٍ مَثْقُوبَةٍ .

يَا إِلَهِي

دَمَّرَ الدِّينَ الزَّائِفَ

وَانْقَذَ الْأَعْمَى

وَلتَهَشَّمْ ، وَلتَهَشَّمْ

المَعْبَدَ المُلْطَّخَ بالدَّمَاءِ

وَدَعَ هَزِيمَ الرُّعْدِ يَنْقُذُ إِلَى سِجْنِ الدِّينِ الزَّائِفِ

وَاحْوِلْ إِلَى هَذِهِ الْأَرْضِ التَّعْسَةِ

نُورَ المَعْرِفَةِ

* * *

الرحال

أَيُّهَا الْعَابِرُ
أَنْتَ وَحَدِّكَ
كَيْفَ يُمَكِّنُكَ أَنْ تُبْصِرَ الْمَجْهُولَ الْكَامِنَ فِي أَعْمَاقِكَ؟
لَقَدْ تَابَعْتَ أَثْنَاءَ اللَّيْلِ
السَّيْرَ فِي الدَّرْبِ الَّذِي لَمْ تَطَّرُقْهُ مِنْ قَبْلُ
وَرَأَيْتَ الْمُرْشِدَ فِي السَّمَاءِ
وَكُنْتَ تَسِيرُ وَحَدِّكَ
وَتَسَلَّقْتَ وَحَدِّكَ الْقِمَّةَ الْعَالِيَةَ الَّتِي تُسَافِرُ مِنْهَا
نَجْمَةُ الصَّبَاحِ فِي رِحْلَةٍ مَعَ النُّورِ
إِنَّ الشَّلَالَ الَّذِي يَتَوَلَّدُ مِنْ دِفْءِ أِبْرِيلِ
يَحْوِلُ رُؤْيَا مُسْتَقْبَلِهِ الْبَعِيدِ
وَجَمَالَهُ يُفُوقُ الوَصْفَ

« أنا موجود، أنا موجود »

هَذِهِ التَّرْدِيدَةُ تُزْهِرُ

وَسَمَاعُ نِدَائِهَا

يَجْعَلُ المِيَاهَ تَجْرِي نَحْوَ المَجْهُولِ

وَبمِثْلِ ذَلِكَ، تَهْمِسُ الرِّسَالَةُ الصَّامِتَةَ

وَيَتَرَدَّدُ صِدَاها فِي أَعْمَاقِكَ

وَفِي كُلِّ تَنْهِيدَةٍ يَتَرَدَّدُ الجَوَابُ الكَبِيرُ

« أنا موجود، أنا موجود »

والصَّخُورُ الكَبِيرَةُ

تُعْرِقُ الطَّرِيقَ

وَتُرَدِّدُ التَّحْذِيرَ

كَلَا . . . كَلَا . . . كَلَا

والأَمْواجُ تَهْدُرُ ضِدَّ المادَّةِ الجَامِدَةِ

والشَّكُّ يَرْفَعُ إِصْبَعَهُ

وَيَرْتَجِفُ الجَبَانَ

والعقلُ الكَسُولُ يَسْتَدْعِي الخَوْفَ
وَفِي بَحْثِهِ عَنِ الخَلَاصِ
يَنْتَهِي إِلَى المَوْتِ .
فِي الدَّرْبِ الضَّيِّقِ للحَيَاةِ الجَدِيدَةِ
أنتَ الرَّحَالُ الَّذِي يَتَجَاهَلُ كُلَّ حَدِّ
فَيَسْتَوْلِي عَلَى المَنِيعِ
وَفِي كُلِّ حُطُوءَةٍ يَتَرَدَّدُ الجَوَابُ
« أَنَا مَوْجُودٌ ، أَنَا مَوْجُودٌ »

الدائم التحرك

بِصَرَخَةٍ يَا يُسَّةَ :

لَا تَرَحَّلْ

مَنْ الَّذِي يَدْعُو إِلَى الْوَرَاءِ؟

أَيْنَ هُوَ ذَلِكَ الرَّبَاطُ

الَّذِي يَجْعَلُ اللَّامِحْدُودَ مَحْدُودًا؟

إِنَّ الْكَوْنَ مِثْلُ سَيْلٍ دَافِقٍ

يَجْرِي جَارِفًا كُلَّ شَيْءٍ

فِي الْإِبْتِسَامِ وَالذُّمُوعِ

كَلَاءً : كَلَاءً : كَلَاءً .

هَذِهِ الصَّرِخَةُ قَدْ سُمِعَتْ فِيمَا أَبْعَدَ

مِنْ بَحْرِ الزَّمَنِ الْعَظِيمِ

وَيَتَرَدَّدُ صِدَاهَا فِي طَبَلِ (رودرا) الرَّهِيْبِ

أيهما الفكرُ
دَعْ خَلْفَكَ كُلَّ شَهْوَةٍ، كُلَّ خَوْفٍ، وَكُلَّ عَنَاءٍ
إِنْ نَهَرَ الخُلُقُ
لَيْسَ سِوَى السَّيْلِ الَّذِي لَا حَدَّ لَهُ مِنَ التَّدْمِيرِ
وَكَوَلُ شَيْءٍ يَمْضِي
وَالآنَ . . أَنَا أُحِبُّ
بَيْنَمَا

تَتَأَلَّقُ ابْتِسَامَةَ الوجودِ فِي سَيْلِهَا البَهِيحِ .
وَسَطَ التَّدْمِيرِ

وَمِنْ (فِينَا) المَوْتِ
يَنْسَكِبُ نَشِيدُ الحَيَاةِ
وَمِنْ وَقْتٍ إِلَى آخِرِ
وَفِي أَعْمَاقِ قَلْبِهَا
يَرْتَجِفُ بِلُطْفِ
مِصْبَاحِ الأَبَدِيَّةِ

مُضِيئًا سَرَابَ لَحْظَةٍ .
إِنْ نَهَرَ الدَّمُوعَ المَجْهُولِ
يَحْمِلُ فِي تَيَّارِهِ الجَارِفِ
حُبَّ الأُمِّ
وَرِسَالَةَ العَاشِقِ .
وَفِي مِيدَانِ مَعْرَكَةِ الدَّمَارِ
فَإِنَّ شَجَاعَةَ البَطْلِ كَنْزُ جَمَالٍ لِلأَرْضِ .
وَمَدَى الزَّمَنِ لَا يَقِيسُ قِيَمَةَ العَطِيَّةِ
التي يُسْكِبُهَا اللَانِهَائِي
فِي الأَيْدِي المَمْدُودَةِ فِي هَيَاةِ كَأْسِ .
العَابِرِ الفَانِي
طَالَمَا ظَلَّ مُسْتَعِيرًا
فَقَوْمَهُ بِحَيَاتِكَ كُلِّهَا
وَحِينَ تَبْتَعِدُ عَرَبَةَ الوَدَاعِ عَنِ المَاضِي
نَاسِيَةً نَفْسَهَا وَمُعْنِيَةً أَنَا شَيْدَ النُّصْرِ

أَفْسَحِ الطَّرِيقَ
لَقَدْ اسْتَوَلَى عَلَيْكَ الْأَسَى
حِينَ كُنْتَ فِي الْأَرْضِ الصَّغِيرَةِ
وَلَكِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ أَجْلِ مَا هُوَ مَوْجُودٌ
فِيمَا وَرَاءَ الْحَيَاةِ
إِنَّهُ يَعِيشُ فِي قَلْبِ الْوُجُودِ
إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي صَيِّغَةِ أَكِيدَةَ فَيَشْكُلُ آخَرَ
فَاخْرُجْ مِنْ بَثْرِكَ الْعَمِيقَةِ
تَحْتَ الْقُبَّةِ السَّمَاوِيَّةِ
وَانظُرْ شِكْلًا سَعِيدًا مِنْ أَشْكَالِ التَّدْمِيرِ
أَيُّهَا الْمُتَأَلِّمُ
إِنْ فَقَّاعَةَ لَوْعَتِكَ
تَتَلَّاشَى
فِي مُحِيطِ اللَّامُؤَلِّمِ

* * *

الطريق المفتوحة

لِتَبْعُدْ

وَلتُفْسِحِ الطَّرِيقَ

إِنَّ عَقْلَكَ يَنْوَأُ تَحْتَ وَطْأَةِ الشَّكِّ

وَمَجْرَى الْحَيَاةِ يَسِيلُ بِبُطْءِ

عَلَى أَنْغَامِ مُوسِيقَى الْمِيَاهِ الرَّقْرَاقَةِ

وَشَطْحَاتِ الْبَهْجَةِ الْمُنْتَشِيَةِ .

إِنَّ أَمْوَاجَهُ وَجَدَهَا هِيَ الَّتِي تُخَفِّفُ ثِقْلَ الْمَاضِي

وَبِاخْتِنَاقِهَا الْمُقْلِقِ

تُعَدِّلُ طُرُقَ الْحَيَاةِ الْمُتَوَيِّجَةِ .

وَدَوِّبُهَا يَحِلُّ عُقْدَ شَبَكَةِ الْحَيَاةِ

وَيُطَهِّرُهَا مِنْ كُلِّ عَدْوَى .

وَتَطْوِي سَأَمَ الْأَيَّامِ

إِنَّهَا كَالسُّحْبِ الَّتِي تَشْرَبُ فِي ضَوْءِ الصَّبَاحِ
وَهِيَ مِثْلُ أَمْوَاجِ الْبَحْرِ الَّتِي لَا تُحْصَى
وَمِثْلُ زَفْرَةِ الرِّيحِ الَّتِي تَهْبُ بِلَا هَدَفٍ
وَمِثْلُ حَفِيفِ الشَّجَرِ الَّذِي لَا يَتَوَقَّفُ
وَالَّذِي يُبْهِجُ قَلْبَ الْأَرْضِ
إِنَّهَا مِثْلُ الشُّعَاعِ الْأَوَّلِ لِلضِّيَاءِ
يَنْبَعِثُ عَلَى حَافَةِ اللَّيْلَةِ السَّالِفَةِ
إِنَّهُمْ أَطْفَالٌ يَمْرَحُونَ عِنْدَ الشَّاطِئِ
وَعَدَارَى تَشِيْعُ بِشَبَابِهَا الْفِيَّاضِ
وَقُيُودُهُمْ تُرَدُّ صَدَى أُغْنِيَةِ الْحُرِّيَّةِ
لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ خَوْفٌ
وَلَا قَلَقٌ عَلَى الْمُسْتَقْبَلِ
وَفِي الْمُسْتَقْبَلِ هُمْ الْفَائِزُونَ
وَعِنْدَ نِدَاءِ الْمَجْهُولِ
يُظْهِرُونَ مِنْ كُلِّ صَوْبٍ وَحَدْبٍ

فِي الظَّلَامِ ، وَفِي النُّورِ
وَيَنْدَفِعُونَ لِمُوجَهَةِ الْوَقَائِعِ
عِنْدَ حُلُولِهَا
لِتَذْهَبَ بَعِيداً
أَيُّهَا الْجَبَانُ الَّذِي يَنْوُءُ بِثِقَلِ الشُّكِّ

* * *

الشرق

اسْتَيْقِظْ ، أَيُّهَا الشَّرْقُ العَرِيقُ
إن ليلَ العصورِ المُظلمِ
قد دَثَرَكَ بِظُلُمَاتِهِ الكَثِيفَةِ
وَبَيْنَ يَقْظَتِكَ وَمَنَامِكَ
بَدَدَكَ فِي بَحْرِ النُّسْيَانِ
اسْتَيْقِظْ أَيُّهَا الشَّرْقُ العَرِيقُ
إن أنعامَ الحياةِ المتنوعَةِ قد خَفَّتْ
كَمَا تَخَفْتُ أنعامُ الحُبَابِجِ المُحْتَضِرَةِ
فَتَى يَرْقُصُ فِي نَبْضِكَ من جَدِيدِ
نِدَاءِ النُّورِ؟
اسْتَيْقِظْ أَيُّهَا الشَّرْقُ العَرِيقُ
من الذي يتلقى رسالته؟
إني هنا في انتِظارِ اللُّحْظَةِ

التي تحوّلُ فيها صخرةُ المقارنة بالفجرِ الجديدِ
هذه الأرضُ، إلى ذهبِ
استيقظُ أيها الشرقُ العريقُ
إني أتوسّلُ بيديّ مضمومتينِ.
في تحطيمك لجدوعِ العهدِ القديمِ
يمكن للشكلِ الجديدِ أن يتفتحَ من جديدِ
في المجدِ الزاهي للشمسِ التي تبتغُ
استيقظُ أيها الشرقُ العريقُ
إن العهدَ الجديدَ يُعلنُ عن نفسه في هذا الهتافِ:
افتحْ، افتحْ البابَ، وبددِ الظلمةَ
فالنورُ المتولّدُ عن الألمِ والعناءِ
سيأتلقُ أمامك
استيقظُ أيها الشرقُ العريقُ

الإنسان الطائر

إِنَّ الآلَةَ العُظْمَى جعلت الإنسانَ طَائِرًا
وَأذَعَنْتِ اليَابِسَةَ وَالْمَاءَ لِحِكْمِهِ وَرَكَعَتْ تَحْتَ قَدَمَيْهِ
وَالجَوَّ وَحَدَّهُ ظِلًّا حَرًّا
إِنَّ الأَجْنِحَةَ هِيَ هَيْبَةُ اللّهِ للطُّيُورِ
وَفَرَحَتُهَا تَتَفَتَّحُ وَتَتَجَلَّى فِي خُطُوطِهَا وَأَلْوَانِهَا
تلكَ الرِّحَالُ المُتَعَدِّدَاتُ الأَلْوَانِ
رَفِيقَاتُ الغَيْمَةِ
تَتَمَيَّي إِلَى نَفْسٍ مَهَبِّ الرِّيحِ فِي السَّمَاءِ الزَّرْقَاءِ
وَلَعِبُهَا يَتَّفِقُ مَعَ إِيقَاعِ الرِّيحِ
وَأَنَاشِيدُهَا مَعَ أَلْحَانِ السَّمَاءِ
وَهَكَذَا فِي كُلِّ صَبَاحٍ

تَمْتَرِجُ يَقْطُطُهَا مَعَ يَقْطِطَةِ الْحَيَاةِ فِي الْعَابَاتِ
وَمِثْلِ الْأَمْوَاجِ الْمَأْخُوذَةِ بِإِيقَاعِ رَقِصَتِهَا الْمُجْنَحَةِ
تَلْهَوْنَ تِلْكَ الطُّيُورِ فِي ظِلِّ الْأَمْنِ الَّذِي يَسْرِي فِي السَّمَاوَاتِ .
لَقَدْ حَمَلْتُ مِنْ عَصْرِ إِلَى عَصْرِ رِسَالَةَ الْحَيَاةِ
لِلسَّمَاءِ ، وَلِلغَابَةِ ، وَلِلجِبَالِ
وَلَكِنْ مَا الَّذِي يَحْدُثُ الْيَوْمَ ؟
مَنْ الَّذِي يَفْهَمُ مَعْنَاهُ ؟
إِنْ رَأَيْتَ التَّطَاوُلَ ، بِكِبْرِيَاءِ السُّلْطَةِ
قَدْ نَشَرَتْ أَجْنِحَتَهَا
وَلَمْ يَبَارِكْهَا إِلَهَ الْحَيَاةِ
وَلَمْ تَحْتَضِنُهَا الْغَابَةُ
وَلَمْ يَحْتَرَمْهَا الْقَمَرُ
إِنَّهَا بِهِزُّ أَجْنِحَتِهَا
وَبِرْمَجَرَةِ صَوْتِهَا الْمُدَوِّيِّ
تُعْلِنُ عَنْ عُزْبَتِهَا فِي السَّمَاءِ

اليوم . وفي التاريخ الذي سمَّه الإنسان
تَدْعُو الغُيُومَ
وَبِضِحْكَةٍ نَفِيلَةٍ
ثُمَّ طِرُّ الخُرَابِ مِنَ السَّمَاوَاتِ
إِنِّي أَشْعُرُ أَنَّهُ قَدْ حَانَتْ نِهَآيَةٌ عَصْرُ
إِن الفَوْضَى مِثْلَ الأَسَدِ الغَضُوبِ
لَا يَتَحَمَّلُ المَعْوَقَاتِ
وَالغَيْرَةُ وَالْقَسْوَةُ تُوقِدَانِ لَهَبَ المَوْتِ
تَرْفَعُ الرُّعْبَ إِلَى الفِرْدَوْسِ
إِذَا كَانَ هَذَا المَكَانَ يَعْنِي عَرْشَ اللّهِ
فَإِنَّهُ قَدْ دُنِسَ
وَجِيئْتِ بِأَي (فاجارياني) إِلَهَ الرعدِ
فِي لَهَبِ التَّدْمِيرِ الغَاضِبِ
دَعَّ صَوْتِ الرُّعْبِ
يَضَعُ حَدًّا لِتَارِيخِ الإِنْسَانِ

آه، أضع إلى الدَّعَوَاتِ الْمُوجِعَةَ
التي تَرْفَعُهَا الْأَرْضُ
وَدَعِ تَغْرِيدِ الطُّيُورِ
في الدُّرُوبِ الْخَضِرَاءِ، الزَّرْقَاءِ فِي الْعَابَةِ
يُقْصُّ مَرَّةً أُخْرَى
رِسَالَتَكَ

* * *

أيتها الأرض

أيتها الأرض
لتقبلي اليوم تحييتي
أخر تحية
ترفعُ إليك في هيكلِ اليومِ الذي يزول
أنتِ بطلّةٌ، يتحقّقُ فرحكُ في الأبطال
أنتِ جميلةٌ وقاسيةٌ
امرأةٌ ورجلٌ في وقتٍ واحدٍ
تزرعُ زرعينِ حياةَ الإنسانِ بصراعاتٍ لا تُطاق .
باليَدِ اليمنى تملأينِ الكأسَ بالرحيقِ
وباليُسرى تُبددينه بدداً .
وفي مكانٍ لهوكٍ يترددُ صدَى السّخريّةِ الصّاخبةِ
إن حياةَ البطلِ ، وريثَ الحياةِ النّبيلةِ

تُرْهِقِينَهَا وَتَجْعَلِينَهَا قَاسِيَةً
إِنَّكَ تَجْعَلِينَ مِنَ الْعَسِيرِ بُلُوغَ الْحَيْرِ
وَلَيْسَ فِي قَلْبِكَ رَحْمَةٌ لِلْبَائِسِ
إِن الصِّرَاعَ مِنْ أَجْلِ الْبَقَاءِ الَّذِي أَخْفَيْتَهُ
فِي أَشْجَارِكَ
يَظْهَرُ انْتِصَارُهُ فِي الثُّمَارِ وَالْغِلَالِ .
وَمِيدَانُ مَعْرَكَتِكَ الْكَرِيهِ
يَنْبَسِطُ عَلَى الْمَاءِ وَالْيَابِسِ
هُنَاكَ ، فِي مُوَاجَهَةِ الْمَوْتِ
تُعْلَنُ الرُّسَالَةُ الْفَائِزَةَ لِلْغَالِبِ
وَأَبْرَاجُ انْتِصَارَاتِ الْمَدِينَةِ
تَقُومُ عَلَى الدَّعَائِمِ الْمُوَسَّسَةِ عَلَى الْقِسْوَةِ
وَأَقْلُ الذُّنُوبِ تُكَافَأُ بِالْذَّمَّارِ .
فِي الصَّفْحَةِ الْأُولَى مِنْ التَّارِيخِ
كَانَتْ سُلْطَةُ الْعِمْلَاقِ غَيْرَ مَحْدُودَةٍ

كَأَنسَانٍ، وَبَرَبْرِيٍّ، وَأَبْلَهٍ
وَكَانَتْ أَصَابِعُهُ خَشِينَةً، وَيَدُهُ سَخِيفَةً
وَبِالْقَضِيبِ فِي يَدِهِ نَشَرَ الدَّمَارَ النَّامِ
فَوْقَ الْيَابِسَةِ، وَفَوْقَ الْبَحْرِ
وَبالنَّارِ وَالبُّخَارِ أَدَارَ أَخْلَامِهِ الْمُتَحَرِّفَةَ الضَّالَّةَ
فِي أَعْمَاقِ السَّمَاءِ.
وَحَقَّقَ لِنَفْسِهِ السِّيَادَةَ الْعُظْمَى عَلَى عَالَمِ الْجَمَادِ
أَمَّا نَحْوِ الْحَقِيقَةِ الْحَيَّةِ فَقَدْ أَعْمَتْهُ الْغَيْرَةُ
وَفِي أَقْرَبِ الْعُهُودِ إِلَيْنَا جَاءَ اللَّهُ
وَعَنَى تَرَائِيلَ «مَنْتَرًا» لِكَيْ يَرُوضَ الْوَحْشَ
وَأَهْيَنْتَ كَبْرِيَاءُ الْمَخْلُوقَاتِ الْفَاقِدَةَ لِلرُّوحِ
فَجَلَسْتَ إِلَهَةَ الْحَيَاةِ
نَاشِرَةً بِسَاطِهَا الْأَخْضَرَ
وَأَنْدَفَعُ الْأَفْقُ عَلَى قَمَمِ الْهَضَابِ الشَّرْقِيَّةِ
وَكَانَ الظَّلَامُ يَحْفُ بِضِيْفَافِ الْبِحَارِ الْعَرَبِيَّةِ

حَامِلَةٌ نَاسِ السَّلَامِ
حَتَّىٰ وَلَوْ كَانَ الْعِمْلاقُ الْمُؤَيَّدُ قَدْ هَدَا قَلِيلاً
هَذَا الْبَرْبَرِيُّ الْأَوَّلَ يَتَّبِطاً فِي تَارِيخِهِ
وَإِلَى قَلْبِ النَّظَامِ حَمَلَ الْفَوْضَى
وَحِينَ خَرَجَ مِنْ كَهْفِهِ الْمُظْلِمِ
تَمَهَّلَ جُنُودُهُ فِي نَبْضِكَ
وَكَانَتْ تَرَائِيلُ الْمَنْتَرِ الْإِلَهِيَّةِ
يَتَرَدَّدُ صَدَاها الْعَمِيقِ الْمُدَوِّي لَيْلاً وَنَهَاراً
فِي السَّمَاءِ، فِي الْهَوَاءِ، فِي الْغَابِ
كَانَ شَيْطَانُكَ - الْأَفْعَى، شَيْبَهُ
الْمُرُوضَ يَنْهَضُ مِنْ وَرَاءِ الْقَبْرِ.
تَقْتِيلِينَ ذُرِّيَّتِكَ
وَتَجَنُّحِينَ خَلْقِكَ
وَخَيْراً أَوْ شَرّاً فَقَدْ وَقَعُوا تَحْتَ أَقْدَامِكَ
وَالْيَوْمَ فَإِنِّي أَحْيَىٰ نَصْرِكَ الْجَمِيلِ - الْمُتَبَاهِي

وَبِقَلْبٍ مُّزَقٍّ وَمُهَانَ
وَبِكُلِّ جَسَدِي، وَكُلِّ فِكْرِي
أَلْمَسُ، وَأَفْهَمُ
الْحَرَكَةَ السِّرِّيَّةَ لِلْحَيَاةِ الَّتِي تُعَانِقُ كُلَّ شَيْءٍ
مِنَ الْمَوْتِ الَّذِي يُعَانِقُ كُلَّ شَيْءٍ
وَتَحْتَ هَذِهِ الْأَرْضِ، وَعَبْرَ أَحْقَابٍ لَا حَصْرَ لَهَا
كُدِّسَتْ الْأَجْسَادُ الْمَفْقُودَةُ
فِي هَذَا الرُّكَّامِ الصَّامِتِ مِنَ التُّرَابِ
الَّذِي يَتَلَعُّ الْأَسْمَاءَ وَالْأَشْكَالَ
وَكُلَّ مَا كَانَ فِي يَوْمٍ مَا مَأْلُوفًا مَأْنُوسًا
حَتَّى أَنَا سَوْفَ أَتْرُكُهُ مِنْ وُجُودِي
قَبْضَةً مِنَ التُّرَابِ
نِهَائِيَّةً كُلِّ أَفْرَاحِي وَآلَامِي.

* * *

يَا عَالَمَ الْحُدُودِ الضَّيِّقَةِ
يَا أَيُّهَا الْعَالَمُ الَّذِي يَبْلُغُ السَّمَاءَ
أَيُّهَا الْعَالَمُ الْمُتَأَمِّلُ
الْغَارِقُ فِي الصَّمْتِ الْعَمِيقِ بِقِمَمِ الْجِبَالِ
أَيُّهَا الْعَالَمُ الْمُحَاطُّ بِالْبِحَارِ
الْمُتَرَدِّدِ صَوْتَهَا فِي مُوسِقَى الْأَمْوَاجِ
الْمُهَيَّبَةِ الَّتِي لَا تَعْرِفُ الْعِيَاءَ
إِنَّكَ لَجَمِيلٌ فِي كَرَمِكَ وَجُودِكَ
وَلَكِنَّكَ مُرْعِبٌ مُفْرَعٌ فِي عَوَزِكَ وَفَقْرِكَ
فَمِنْ جِهَةٍ
تَبْدُو حُقُولَ الْأَرْضِ مَائِلَةً يَثْقُلُ سَنَايِلُهَا
غَيْرَ النَّاضِجَةِ
وَالنَّدَى الَّذِي يَتَحَلَّلُ مَعَ أَوَّلِ أَشِعَّةِ
الشَّمْسِ الْوَدِيعَةِ
وَالغُرُوبِ الَّذِي يَتْرُكُ فَوْقَ بَيَادِرِ الْقَمْحِ

المُتَمَوِّجَة

رِسَالَتَه الصَّامِتَة . . إني لَمُبَارَكٌ

وَمِنْ جِهَة أُخْرَى

رَقِصَة الوَهْمِ الشَّيْطَانِيَّةِ

بَيْنَ الْهَيَاكِلِ الْعَظِيمَةِ الْمُوزَعَةِ فِي الصُّحْرَاءِ

مُحْتَرَفَة، غَيْرَ مُثْمِرَة، شَاحِبَة مِنَ الرُّعْبِ

وَفِي إِبْرَيْلِ شَاهَدْتِ إِعْصَارَكَ الْمُدْوِي

يَتَحَرَّكُ كَالنَّسْرِ الْمُتَقَضِّ عَلَى الْأَرْضِ

لِكَيْ يَبْدُدَ كُلَّ أَفْقٍ .

وَزَمَجَرَتِ السَّمَاءُ وَزَارَتِ كَالْأَسَدِ

وَبِضْرَبَةٍ مِنْ ذَيْلِهِ

انْقَلَبَتِ الْغَابَةُ النَّاسِكِيَّةُ عَالِيهَا

وَدَانِيهَا

مِثْلَ أُسْبِيرٍ غَيْرٍ مَغْلُولٍ

لَقَدْ قَلَبْتَ الرِّيحُ سُقُوفَ التَّنْبِنِ .

وفي الربيع
رَأَيْتَ مِنْ جَدِيدٍ، طَرَاوَتَكَ، وَرِيحَكَ
الْجَنُوبِيَّةَ تَنْشِيرَ

بَيْنَ بَرَاعِمِ الْمَانِحِو الْمُعْطَّرَةِ
أُغْنِيَةَ اللَّقَاءِ وَالْإفْتِرَاقِ
فِي تَحْدِيهِ الْإِعْصَارِ
وَحَفِيفِ الْأُورَاقِ الْقَلِيقَةِ
انْطَلَقَ فِي صَرَخَةٍ فَرَحٍ.

أَيُّهَا الْعَالَمُ
أَنْتَ مَحْبُوبٌ وَقَاسٍ، قَدِيمٌ، وَجَدِيدٌ عَلَى الدَّوَامِ
وَمِنْ نَارِ التُّضْحِيَّةِ عِنْدَ بَدَايَةِ الْخَلْقِ
نَهَضْتَ وَعَلَى رَأْسِكَ هَالَةٌ لَا تُنْسَى
وَفِي حَجِّكَ، وَعَلَى طُولِ دَرْبِكَ
زَرَعْتَ كَثِيرًا مِنْ خَرَائِبِ التَّارِيخِ
الَّتِي نَمَتْ بِلَا مَعْنَى

لقد نَشَرْتُ فِي شَرَايِحِ النَّسِيَانِ
مَخْلُوقَاتِكَ الْمَرْفُوضَةَ
يَا حَامِيَ الْحَيَاةِ
لَقَدْ غَدَيْتَهَا فِي أَقْفَاصِ صَغِيرَةٍ مِنَ الزَّمَنِ الْهَارِبِ
وَفِي دَاخِلِهَا كَانَتْ تَكْمُنُ الْحُدُودُ
لِكُلِّ لُغْبَةٍ مِنْ لُغْبِ الْحَيَاةِ، لِكُلِّ نِهَايَةٍ عَمَلٍ
إِنِّي أَلْتَمِسُ الْخُلُودَ
لِلْأَكْلِيلِ الَّذِي ضَفَرْتُهُ لَكَ لَيْلًا وَنَهَارًا
أُتْنَاءَ رِحْلَةِ الْأَرْضِ حَوْلَ الشَّمْسِ
تَمْضِي وَتَأْتِي لِحَفَظَاتِ عَدِيدَةٍ
فَإِذَا كَانَتْ فِي لِحْظَةٍ مِنْ لِحَفَظَاتِ هَذَا الزَّمَنِ
الْعَظِيمِ
أَعْطَيْتُ مَعْنَى أَوْ بَعْضَ مَعْنَى
وَإِذَا كُنْتُ بِلُوعَةٍ قُصْوَى قَدْ كَسَبْتُ
جُزْءًا خَصَبًا مِنَ الْحَيَاةِ

فَلتَضَع (تِيلاك) الأَرْضِي فَوْقَ جِيبِي
تِلْكَ السِّمَّةَ الَّتِي تَتَلَّاشِي عِنْدَ اللَّيْلِ
وَفِيهَا تَتَلَّاشِي كُلُّ السِّمَّاتِ
فِي أَعْمَاقِ اللَّامِجْهُولِ
آه . أَيُّهَا الْعَالَمُ الرَّواقِي اللَّامْبَالِي
قَبْلَ أَنْ تَنْسَانِي بِصِفَةِ تَامَّةٍ
فَإِنِّي أَلْمَسُ قَدَمَكَ الْقَاسِيَةَ الْكَرِيهَةَ
بِأَخْرَجِ تَحِيَّاتِي

* * *

المنبوذون

إِنَّهُمْ مَنبُذُونَ
بِلَا انْتِمَاءٍ إِلَى فِئَةٍ اجْتِمَاعِيَّةٍ
لَا يَحِقُّ لَهُمْ أَنْ يُنْشِدُوا التَّرَاتِيلَ الْمُقَدَّسَةَ
وَأَمَامَ بَابِ الْهَيْكَلِ
فَإِنَّ الْكُهَّانَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ عَقِيدَةً
يُقِيمُونَ الْحَوَاجِزَ فِي الطَّرِيقِ
إِنَّهُمْ يَبْحَثُونَ عَنِ اللَّهِ فِي مَعْبَدِهِ
بَعِيداً عَنِ جَمِيعِ الْحَوَاجِزِ
فِي السَّمَاءِ الْعَامِرَةِ بِالنُّجُومِ
فِي الْغَابَةِ الْمُغَطَّةِ بِالزُّهُورِ
وَفِي الْحُزْنِ الصَّلْدِ
حَيْثُ الْعُشَّاقُ يَلْتَقُونَ وَيَفْتَرِقُونَ

تلك الرؤيا المطوّقة المُعلّقة إلى الله
تقعُ بعيداً عن مُتناولهم .
في حياةٍ ماضيةٍ
كثيراً ما رأى ذلك العابدُ
عند ضيفان نهر بادما
النهر الذي ينخر بلا توقّف
الأسس الصلبة للمعبّد القديم
رآه وفي يده (الإكثارا)
يجوبُ الطريق المظلمة المنعزلة
باحثاً عن درب الوصولِ
إلى (إنسان قلبي)
شاعراً مثلي
ليست له طائفةُ
لا يُمكنه أن يُشيد الترابيل المقدّسة
وعبادتي لم تبلع أبداً هذا المعبد

السَّيِّئِينَ الْمُخَصَّصِينَ لِلَّهِ
فَجَاءَ الْكَاهِنُ إِلَى الْمَعْبَدِ وَسَأَلَنِي
بِاسْمِي:
هَلْ قَدَّمْتَ وَاجِبَاتِ الْإِجْلَالِ لِإِلَهِكَ؟
فَأَجَبْتُهُ . . . كَلَّا
أَلَا تَعْرِفُ الْقَوَاعِدَ وَالطَّرِيقَ؟
فَأَجَبْتُ . . . كَلَّا
إِذَنْ أَنْتَ بِلَا طَائِفَةٍ؟
وَالْيَوْمَ أَفَكَّرْتُ فِي نَفْسِي
مَنْ هُوَ إِلَهِي؟
وَمَنْ الَّذِي عَبَدْتُ؟
أَعْتَقَدْتُ أَنِّي عَبَدْتُ اللَّهَ هَذَا
الَّذِي كُنْتُ أَسْمَعُ اسْمَهُ عَلَى الدَّوَامِ
وَالَّذِي قَرَأْتُ عَنْهُ
فِي كِتَابَاتٍ كَثِيرَةٍ، فِي لُغَاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ

وَلَكِي أَظْهَرَ إِخْلَاصِي
فَلَقَدْ عَبْدْتُهُ بِعِنَايَةٍ
وَالْيَوْمَ أَرَى أَنِّي لَمْ أَظْهَرَ ذَلِكَ فِي حَيَاتِي
لَيْسَتْ لَدَيَّ طَائِفَةٌ
لَا يُمَكِّنُنِي أَنْ أُنْشِدَ التَّرَاتِيلَ الْمُقَدَّسَةَ
وَحِينَ تَبْلُغُ عِبَادَتِي
الْأَبْوَابَ الْمُغْلَقَةَ لِلْمَعَابِدِ
تَهْرَبُ بَعِيدًا
بَعِيدًا عَنْ كُلِّ حَاجِزٍ
إِلَى السَّمَاءِ الْعَامِرَةِ بِالنُّجُومِ
إِلَى الْغَابَةِ الْمُغَطَّاءِ بِالزُّهُورِ
إِلَى الطَّرِيقِ الْقَاسِيَةِ الْمُؤَلِّمَةِ
حَيْثُ يَلْتَقِي الْعُشَّاقُ وَيَفْتَرِّقُونَ
وَكَأَيِّ طِفْلِ
تَلَقَّيْتُ أَوَّلَ (الْمَنْتَرَا)

فِي يَوْمِ مِيلَادِ الْأَرْضِ
(فِي فَرْحَةِ قَلْبِي الْقَوِيَّةِ)
تَلَقَّيْتَهَا وَأَنَا جَالِسٌ فِي حَدِيقَتِي
بَيْنَ الْخَرَائِبِ وَالْجُدْرَانِ الْمُتَدَاعِيَةِ
وَوَسَطِ هَذِهِدَةِ حَفِيفِ أُرَاقِ جَوْزِ الْهِنْدِ.
إِنِ الْحَيَوِيَّةُ قَدْ نَزَلَتْ عَلَيَّ تَدْفُقُ
تَبَعِ النَّارِ لِلْحَيَاةِ الْبِدَائِيَّةِ
وَأَعْطَتْنِي مَشَاعِيرُ مَا لَا يُعْبَرُ عَنْهُ
الرِّسَالَةَ الْغَامِضَةَ لِلْعُهُودِ الْقَصِيَّةِ
فَهَزَّتْ كُلَّ تَفْكِيرِي
الْأَشِيعَةَ الْحَيَّةَ لِوُجُودِي الدَّابِلِ
وَضَاعَتِ فِي الْجَسَدِ الْبُخَارِيَّ لِلشَّمْسِ الْقَدِيمَةِ
وَحِينَ تَأَمَّلْتُ السُّهُولَ الشِّتَوِيَّةَ
بِلَا ثِمَارِ
أَحْسَسْتُ فِي قَلْبِي دَمِي

خُطْوَةَ النُّورِ الصَّامِتِ
ذَلِكَ الصَّوْتِ لِحَقْنِي مُنْذُ الْمِيلَادِ
مُنْذُ بَدَايَةِ الْعُهُودِ الْقَدِيمَةِ .
وَحِينَ أَتَأَمَّلُهُ
فَإِنْ فِكْرِي يَنْبَسِطُ فِي مُعْجِزَةِ الزَّمَنِ اللَّائِنِهَايِ
فِي الْحَجِّ إِلَى حَيَاةِ الْخَلْقِ
وَأَظْلَّ يَقِظًا فِي ذَلِكَ النُّورِ
حَيْثُ مَرَّتْ بِهِ عُهُودٌ عَدِيدَةٌ
وَفِيهِ يَضْطَجِعُ مُسْتَقْبَلِي النَّائِمِ
وَعِبَادَتِي تَيْتَمُّ كُلَّ يَوْمٍ
فِي فَرْحَةٍ هَذِهِ الْبِقِظَةِ .
لَيْسَتْ لِي طَائِفَةٌ
وَلَا يُمَكِّنِي أَنْ أُشِيدَ التَّرَاتِيلَ الْمُقَدَّسَةَ
وَلَا أُدْرِي لِمَنْ تُكْرَسُ
عِبَادَتِي غَيْرَ النَّفْعِيَّةِ

التي تَقَعُ أَبْعَدَ مِنْ أَيِّ طَقْسٍ دِينِي
وَمِنْ أَيِّ عَقِيدَةٍ .

بِلاَ أَصْدِقَاءَ ، وَكَالطُّفْلِ الصَّغِيرِ
أُنْظَرُ إِلَى بَعِيدِ

وَأَعِيشُ أَيَّامِي فِي وَحْدَةٍ .

لَقَدْ وُلِدْتُ فِي عَالَمٍ

غَيْرِ مَحْبُوبٍ ، وَمُدُنِّسٍ

عَالِمٍ بِلاَ جُدْرَانٍ وَلاَ شِعَارَاتِ النِّبَالَةِ
وَبُيُوتِ جِيرَانِي مُحَاطَةً بِأَسْوَارِ أُخْرَى .

كُنْتُ طِفْلاً مَجْهُولاً ، خَارِجَ الطَّائِفَةِ

وَكَانَتْ لَهُمْ دُورٌ جَمِيلَةٌ يَغْشَاهَا النَّاسُ

وَمِنْ بَعِيدٍ كَانُوا يُلَاحِظُونَ حَرَكَةَ

الذَّهَابِ وَالِإِيَابِ

عَلَى طُولِ الطَّرِيقِ الْمُبْلَطَةِ .

لَيْسَتْ لَدَيَّ طَائِفَةٌ

وَلَا يُمَكِّنِي أَنْ أُغْنِيَ التَّرَاتِيلَ الْمُقَدَّسَةَ
وَالنَّاسُ الَّذِينَ تَرَبَّوْا عَلَى الطُّقُوسِ وَالْعَقَائِدِ
لَا يَعْتَرِفُونَ بِالْإِنْسَانِ فِي شَخْصِي وَلَا يَعْتَرِفُونَ عَلَيْهِ
وَإِذَنْ، فَقَدْ كُنْتُ أَلْعَبُ وَحْدِي فِي الطَّرِيقِ
وَكَانُوا يَجْتَازُونَ نَبِيَّ بَعِيداً بِأُرْدِيَّتِهِمُ الطَّوِيلَةَ
وَيَقْطِفُونَ الزُّهُورَ لِعِبَادَةِ إِلَهِهِمْ
زُهُوراً مَقْطُوفَةً وَفَقاً لِقَوَاعِدِ
الْكُتُبِ الْمُقَدَّسَةِ .

أَمَا أَنَا فَقَدْ أَعْقَلْتُ أَنْ أُقَدِّمَ لِإِلَهِي
زُهُوراً مِنْ كُلِّ الْبِقَاعِ
زُهُوراً بَارَكْتَهَا الشَّمْسُ نَفْسُهَا
وَأَهْمَلْتُهَا الْجُمُوعُ .
لَقَدْ تَشَرَّدْتُ شَوْقاً إِلَى التَّوْحِيدِ
بِالْإِنْسَانِ

وَالْبَيْتُ الْمِضْيَافُ لَمْ يَكُنْ

لَهُ جُدْرَانٌ وَلَا حُرَّاسٌ
وَبَعِيداً عَنِ الْجَمَاهِيرِ وَجَدْتُ أَصْدِقَاءَ
فِي وَحْدَتِي
أَصْدِقَاءَ مِنْ أَعْظَمِ عُهُودِ التَّارِيخِ
جَاءُوا بِالرَّسَالَةِ الْعُظْمَى .
إِنَّهُمْ أَبْطَالٌ ، وَفَائِزُونَ عَلَى الْمَوْتِ .
هُمْ أَصْدِقَائِي وَأَقْرَبَائِي
طَائِفَتِي وَسَلَاتِي
وَقَدْ تَطَهَّرْتُ بِطَهَارَتِهِمُ الْخَالِدَةَ
كَانُوا قُصَادَ الْحَقِيقَةِ
يَعْبُدُونَ النُّورَ
جَدِيرِينَ بِامْتِلَاكِ (أَمْرِنَا)
وَفِي الدَّائِرَةِ الضَّيِّقَةِ
أَضَعْتُ الْإِنْسَانَ
وَوَجَدْتُهُ هُنَاكَ

حَيْثُ يَتَجَاوَزُ حُدُودَ أَيِّ أَرْضٍ
وَصَلَّيْتُ لَهُ بِأَيْدِي مَضْمُومَةٍ
آه، أَيُّهَا الْإِنْسَانُ الْخَالِدِ
أَنْتَ الَّذِي تَخُصُّ كُلُّ الْبَشَرِ
انْقِذْنِي مِنْ وَقَاحَةِ الْكِبْرِيَاءِ
الَّتِي تَحْمِلُ طَائِعِ (الْإِقْصَاءِ)
آه أَيُّهَا الْوَجُودُ الْعَظِيمِ
لَقَدْ أَبْصَرْتُكَ أَبْعَدَ مِنْ حُدُودِ الظُّلْمَةِ
إِنِّي مُبَارَكٌ، لَيْسَتْ لِي طَائِفَةٌ
أَيُّ طَائِفَةٍ.
وَفِي أَحَدِ أَيَّامِ الرَّبِيعِ
جَاءَتْني امْرَأَةٌ
فِي غَابَاتِي الْمُنْعَزِلَةِ
فِي هَيْئَتِهِ الْعَاشِقَةِ اللَّطِيفَةِ
جَاءَتْ لِي تُعْطِي لِأَغَانِي الْحَانَا

وَفَجْأَةً، اخْتَرَقَتْ مَوْجَةَ عَاصِيفَةً

ضِيفَافَ قَلْبِي

وَأَخَمَدْتُ كُلَّ لُغَةٍ

وَمِنْ شَفَتِي لَمْ أَنْبَسْ بِكَلِمَةٍ

كَانَتْ تَقِيفُ إِلَى جِدْعِ شَجَرَةٍ

مُحِجَّةٍ

وَأَلَقْتُ نَظْرَةً عَلَى وَجْهِهِ الَّذِي

جَعَلَهُ الْأَلَمُ حَزِينًا

وَبِخُطُواتٍ سَرِيعَةٍ اقْتَرَبْتُ

مِنْهُ وَجَلَسْتُ بِجِوَارِي

وَأَخَذْتُ يَدِي فِي يَدَيْهَا

وَقَالَتْ:

أَنْتَ لَا تَعْرِفُنِي، وَلَا أَنَا أَعْرِفُكَ

كَيْفَ يُمَكِّنُ لِذَلِكَ أَنْ يَكُونَ؟

قُلْتُ:

سَوْفَ نُشِيدُ كِلَانَا جِسْرًا أَبَدِيًّا
بَيْنَ مَخْلُوقَيْنِ ، يَجْهَلُ كُلُّ مِنْهُمَا الْآخَرَ .
هَذِهِ الْأَعْجُوبَةُ الْقَاهِرَةُ
تَكْمُنُ فِي قَلْبِ الْأَشْيَاءِ
لَقَدْ أَحْبَبْتِهَا .

تِيَّارٌ مِنْ هَذَا الْحُبِّ
أَحَاطَ بِهَا فِي عِنَاقٍ هَادِيَةٍ
مِثْلَ نَهْرِ الْقَرْيَةِ الْمَحْدُودِ الْعُمُقِ
ذَلِكَ التِّيَّارِ الَّذِي يَتَحَرَّكُ بِطُغْه
يَتَدَفَّقُ قُرْبَ الضِّفَافِ الْمُنْخَفِضَةِ
لِلْحَيَاةِ الْيَوْمِيَّةِ الْعَادِيَةِ لِلْمَحْبُوبَةِ
وَعَالِيًّا مَا يَجْعَلُهُ الْجَفَافُ نَحِيلاً هَزِيلاً
وَكَثِيراً مَا يَمْلَأُهُ مَطَرٌ يُولِئُ السَّخِيَّ مَاءً وَرَفْرَقَةً
كَانَ الْوَجْهَ الْمَأْلُوفُ

للمرأة التي أحببتها بعض المرات
وخذعتها مرات أخرى .
معها بحجاب اللامعنى
إن السيل الآخر لذلك الحب
كان يحمل النداء العظيم من المحيط .
ومن أعماقه
تظهر امرأة نبيلة وكريمة
بعد حمام تطهيرى في ذلك الماء العظيم
في هيئة ديانا المهزومة .
ولقد نفذت إلى عقلي وجسدي
خالعة الكمال على وعلى غنائي
لقد حافظت على اللهب الخالد للافتراق حياً
محباً في أعماق فكري
رأيت في النور لطفها الخالد
ورأيتها في تدفق الربيع بين الزهور والأوراق

وَفِي شَرَارَةِ النُّورِ الشَّمْسِيِّ
المَوْزِعِ مِنْ أَوْرَاقِ السِّبْثِ الْمُتَفَرِّقَةِ .
لَقَدْ سَمِعْتُ النِّعَمَ
الَّذِي عَزِفَ بِسُرْعَةٍ عَلَى أوتَارِ (سِتَارِ)
حَوْلِ المَشْهَدِ المُتَغَيِّرِ لِلْفُصُولِ
فِي النُّورِ وَفِي الظِّلِّ
رَأَيْتُ رَقْصَةَ حُمُرِهَا المُتَعَدِّدَةِ
الألْوَانِ .

لَقَدْ رَأَيْتُهَا جَالِسَةً قُرْبَ عَرْشِ (الْخَلْقِ)
إِلَى يَسَارِ اللَّهِ
وَرَأَيْتُ الْجَمَالَ حِينَ يُشْتَمُّ
بِالِاتِّصَالِ غَيْرِ الطَّاهِرِ مَعَ المُشَوِّهِ .
وَالكَّرِيهِ
وَالنُّيرَانَ المُدْمِرَةَ الَّتِي تَقْدَحُ فِي عَيْنِي (رِدْرَانِي)
جَفَفْتُ وَكَرَ التُّوبَةَ الخَفِيَّ

وَيَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ ، هُنَاكَ
جَمَعْتُ فِي أَغَانِيَّ
السِّرَّ الْأَوَّلَ لِلخَلْقِ ، وَكَشَفْتُ النُّورَ
وَالسِّرَّ الْأَخِيرَ لِلخَلْقِ ، وَهِيَ خِيفَةٌ
الْحُبِّ الْخَالِدَةِ
لَيْسَتْ لِي طَائِفَةٌ
وَلَا يُمَكِّنُنِي أَنْ أُغْنِيَ التَّرَاتِيلَ الدِّيْنِيَّةَ
وَبَعِيدًا عَنْ جَمِيعِ الْحَوَاجِزِ لِجَمِيعِ الْمَعَايِدِ
فَقَدْ تَمَّتْ الْيَوْمَ عِبَادَتِي
قَادِمًا مِنْ مَمْلَكَةِ اللَّهِ
مُنْتَهِيًا إِلَى مَمْلَكَةِ الْإِنْسَانِ
خَاتِمًا فِي السَّمَاءِ (الْوُجُودِ الْمُسْتَنِيرِ)
خَاتِمًا فِي الْفَرْحَةِ الْعَمِيقَةِ بِقَلْبِ
الْإِنْسَانِ

افريقيا

في ذَٰلِكَ الْعَهْدِ الْحَائِرِ
حين لم يَرْضَ الْخَالِقُ عَمَّا خَلَقَ
فَدَمَّرَ كُلَّ شَيْءٍ.
فَصَلِّكَ الْبَحْرُ الْغَاضِبُ
يا إفريقيا
عن حَضْنِ الْأَرْضِ الْقَدِيمَةِ
وزينكِ بِالْغَابَاتِ الْكثِيفَةِ
التي لا يَنْفِذُ إِلَيْهَا النُّورُ
وهناكَ عِنْدَ الزَّوَايا الْخَفِيَّةِ
جَمَعْتَ أَسْرَارَ اللَّامْفُهِومِ
وَفَكَكْتَ سِرَّ الْأَرْضِ
وَالسَّمَاءِ وَالْمَاءِ.
وسِحْرُ الطَّبِيعَةِ

المتجاوز لإدراكِ البصر الإنساني
أخذَ يُنْضِجُ رسالته التي لم تتسرب
يا أفريقيا، المحمية بالشمس
المتدثرة بحجاب
ترقدُ إنسانيتك تحتَ نظرةِ كدرةِ
عامرة بالاحتقار
وصلَ صيادو البشرِ
يجدوهم الحديديةً
ويميخاليهم التي تفوقُ في حدتها مخالب النُمورِ
وقد أعمى أفكارهم الغرورُ
فكانتْ أشدَّ ظلمةً من غاباتك.
والطمعُ القاسي للإنسانِ المتمدنِ
عرّضَ نفسه عارياً في خزيهِ البشريِ.
ودروبَ الغاباتِ
كانت تُرددُ صدَى صيحاتك
الخالية من الكليات

وقد تَلَطَّختُ بِالدِّمَاءِ وَالدُّمُوعِ .
وَأَحْذِيهِ اللُّصُوصِ الْمَسْمُورِ
تَرَكَتْ خَلْفَهَا الْأَثَرَ الَّذِي لَا يُمْحَى
فِي التَّارِيخِ الْمَخْزِيِّ .
وَبِالذَّاتِ ، وَفِي ذَلِكَ الْوَقْتِ
وَفِيمَا وَرَاءَ الْبِحَارِ
كَانَتِ الْكَنِيسَةُ تَدُقُّ أَجْرَاسَهَا
دَاعِيَةً النَّاسَ إِلَى الْعِبَادَةِ
وَالْأَطْفَالَ كَانُوا يَلْعَبُونَ فِي أَحْضَانِ أُمَّهَاتِهِمْ .
وَفِي أَنَاشِيدِ الشَّاعِرِ
كَانَتْ تَرْتَعِشُ الْإِيْتِهَالَاتُ إِلَى اللَّهِ
وَالْيَوْمَ ، حِينَ تَخْتَقُ الْأَصْدَاءُ اللَّيْلَ
وَتَخْرُجُ الْحَيَوَانَاتُ مِنْ جُحُورِهَا
مُتَنْبِئَةً بِنَهَايَةِ عَهْدِ
تَعَالَى ، يَا شَاعِرَ الْعَهْدِ الْجَدِيدِ
لِيَتَرَفَّعَ بَيْنَ أَضْوَاءِ الْغُرُوبِ الْوَاهِنَةِ

وأمام المخزيين
وتعلق، (لِنَغْفِرِي لِنَغْفِرِي)
فلتكن هذه رسالتك الأخيرة
يا أفريقيًا

أَغْنِيَاتُ

إِن الصَّرْحَةَ الَّتِي تَتَعَالَى فِي أَعْمَاقِ قَلْبِي
هِيَ أَيْضاً صَّرْحَةُ أَرْضِكَ
وَالخَيْطُ الَّذِي تَشْدُنِي بِهِ
يَشْدُهَا بِي أَيْضاً
لَقَدْ بَحَثْتُ عَنْهَا فِي كُلِّ مَكَانٍ
وَعَبَدْتُهَا فِي أَعْمَاقِي
وَبَحَثْتُ هِيَ عَنِّي حَتَّى عِنْدَمَا كُنْتُ مُسْتَعْرِقاً فِي تِلْكَ الْعِبَادَةِ
وَعَبَّرَ الْمُحِيطَاتِ الْوَاسِعَةَ جَاءَتْ لِتَسْرِقَ قَلْبِي
وَنَسِيْتُ الْعَوْدَةَ
بَعْدَ أَنْ فَقَدْتُ كُلَّ أَشْيَائِهَا
لَقَدْ خَانَهَا سِحْرُهَا الْجَذَابُ
وَنَصَبْتُ الشَّبَاكَ

دُونَ أَنْ تَدْرِي
هَلْ صَادَتْ، أَمْ صِيدَتْ

أَنْتِ
يَا آخِرَ نَجْمَةٍ عِنْدَ مَطْلَعِ الْفَجْرِ
دَعِي رِسَالَتَكَ
شِبْهَ النَّائِمَةِ وَالْحَفِيَّةِ
فِي زَهْرَةِ الْفَجْرِ الْأُولَى
لِيَقْدِرَ ذَلِكَ الَّذِي هُوَ مَصْدَرُ جَمِيعِ الْأَفْرَاحِ
أَنْ يُقْبَلَنِي فِي حَيَاتِي الْجَدِيدَةِ
عِنْدَ نِهَآيَةِ تِلْكَ الْحَيَاةِ الَّتِي انْقَضَتْ
وَلِيُمْكِنَ لِكُلِّ أَحْلَامِ اللَّيْلِ أَنْ تُزْهِرَ
فِي أُغْنِيَاتِ جَدِيدَةٍ
فِي سَاعَةِ الْبَعْثِ
وَلِيُمْكِنَ لَهُذِهِ الْمُتَوَحِّدَةِ

المُقيمة في قلبي
أن تبدؤ في ثوب الزفاف
عند صباح حياتي الجديدة

* * *

هذا (الأنا) الذي يضطربُ
على طول موجة الزمن
أراه من بعيد
مع التراب والماء
مع الثمر والزهر
ومع كل شيء أراه مُندفعاً
عائماً فوق السطح
تدفعه الأمواج
راقصاً على إيقاع الفرح والألم
وتؤلمه أصغر الجراح

أراه مِنْ بَعِيدٍ
هَذَا (الأنَا) لَيْسَ أَنَايَ الْحَقِيقِيَّ
مَا زِلْتُ كَامِنًا فِي أَعْمَاقِ نَفْسِي
وَلَا أَضْطَرِبُ فِي تِيَّارِ الْمَوْتِ
إِنِّي حُرٌّ، بِلَا شَهَوَاتٍ
إِنِّي سَلَامٌ
إِنِّي مُسْتَتِيرٌ
وَأَرَاهُ مِنْ بَعِيدٍ

يَا صَدِيقِي
إِنَّكَ لَفِي انْتِظَارِي
فِيمَا وَرَاءَ ضِيفِ الْمَوْتِ وَالْحَيَاةِ
فِي السَّمَاءِ الصَّامِتَةِ فِي قَلْبِي .
عَرْشُكَ مَعْمُورٌ بِالنُّورِ .
وَبَيَّيَّ أَمَلٍ وَفَرَحٍ أَتَجَّهُ إِلَيْهِ

وَأَتَوَسَّلُ إِلَيْهِ بِيَدَيْنِ مَفْتُوحَتَيْنِ .
إِنَّ اللَّيْلَةَ الصَّامِتَةَ قَدْ نَشَرَتْ
ضَفَائِرَهَا السُّودَاءَ حَوْلَ قَدَمَيْكَ
وَهَذِهِ اللَّيْلَةُ ، أَيُّ أُغْنِيَةٍ تَمَلَأُ
أَرْجَاءَ الْكَوْنِ ، سَتَهْبِطُ هَذِهِ
الْأَرْضَ مَنَسَابَةً مِنْ مَعزَفِكَ .
إِنَّ الْأَرْضَ تَتَدَمَّجُ فِي تَدَقُّقِ الْأَنْعَامِ
وَأَنَا أَضِيغُ فِي الْأَغْنِيَاتِ
الَّتِي تَتَنَفَسُ كَأَبَةٍ

لَقَدْ انْتَهَى النَّهَارُ
فَلْتَسَحَبْ عَنْ عَيْنِيَّ
حِجَابَ نُورِ الشَّمْسِ الْغَارِبَةِ .
فَفِي قَلْبِ الظُّلَامِ
تَعِيشُ مَنَابِعُ النُّورِ الْخَالِدِ

فَلْتَسْكُبْهَا فِي أَعْمَاقِي .

وَأَجْعَلْ فِي النِّهَآيَةِ

كُلَّ الْكَلِمَاتِ

تَنْصَهْرُ وَتُصَيِّحُ كَلِمَةً وَآحِدَةً .

وَدَاخِلَ قَلْبِ الصَّوْتِ الصَّامِتِ

اعْرِفْ تِلْكَ الْأَنْغَامَ الْخَالِدَةَ .

تِلْكَ الْأَنْغَامَ تَهْمِسُ إِلَى

أُذُنِي

* * *

حِينَ افْتَرَقْنَا، فَكَرْتُ

أَنْ الدُّمُوعَ لَنْ تَكْفَ عَنْ الْإِنْسِكَابِ أَبَدًا .

وَيَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ

وَفِي غُبَارِ حَوَافِي الطَّرِيقِ

أَخَذَتِ الزُّهُورُ تَذْبُلُ

وَتَسَاقُطُ مِنْ إِكْلِيلِي
عَلَى غَيْرِ عِلْمِي
مَتَى يَسْقُطُ حِجَابُ النَّسِيَانِ فَوْقِي؟
وَتَدْرِيحِيًّا أَخَذَ قَلْبِي يَقْسُو
وَفَكَّرْتُ فِي أَنْ الدُّمُوعَ لَنْ تَسْكِبَ أَبَدًا
أَهْ، وَلَكِنْ حِينَ قَابَلْتُهَا فَجَاءَتْ،
فِي إِحْدَى زَوَايَا الطَّرُقِ
أَخَذَتْ تَنْهَمِرُ دُمُوعٌ لَأَحَدٍ لَهَا.
حَتَّى فِي نِسْيَانِي
تَحَرَّكَتْ دَوْمًا أَمْوَاجٌ مِنَ الدُّمُوعِ

قَبْلَ أَنْ يَتَبَدَّدَ اللَّيْلُ
فَلْتُوَقَدْ مِصْبَاحَ حَيَاتِي
بِلَهْيِكَ
أَيُّهَا الْحَبِيبُ الْأَثِيرُ

إِنِّي أَنْتَظِرُ الْمَسَاءَ
حِينَ تَقْدِمُ إِلَيَّ
سَالِكًا طُولَ الطَّرِيقِ
حَامِلًا لِهَيْبِكَ
وَقَلْبِي بِقِيَمَتِهِ الْمُفَكَّرَةِ
سَيَتَنَوَّرُ بِذَلِكَ اللَّهْيَبِ

إِن الْمَاءَ الْمَأْسُورَ فِي حِضْنِ الْأَرْضِ
لَمْ تَعَثُرْ عَلَيْهِ الْأَرْضُ
حِينَ هَرَبَ مِنْهَا إِلَى السَّمَاءِ الْبَعِيدَةِ .
وَالْعُيُومِ الْكَثِيفَةِ رَسَمَتْ هُنَاكَ رُسُومًا غَامِضَةً .
فَلَمْ تَعَثُرْ عَلَيْهِ الْأَرْضُ
وَحِينَ ذَاكَ هَزَّهَا الرَّعْدُ بِنَارِ الْأَلَمِ
وَالْعَاصِفَةِ الْمُرْتَجِفَةِ دَفَعَتْ بِهِ إِلَى جَمِيعِ
الِاتِّجَاهَاتِ .

وَالكَنْزُ الَّذِي كَانَ فِي وَقْتِ مَا قَرِيبًا
عَادَ مِنْ جَدِيدٍ إِلَى الْقَلْبِ
فَجَاءَ فِي الدُّمُوعِ طُوفَانًا
وَهُنَاكَ وَجَدْتَهُ الْأَرْضُ فِي آخِرِ الْمَطَافِ

إِنَّ النُّورَ قَدْ غَابَ عَنِ اللَّيْلَةِ الْمُظْلِمَةِ
وَوَصَلَ بِخُطُواتٍ لَطِيفَةٍ
وَحِينَ تَقْطَعُ هَذَا الطَّرِيقَ
سَتَعْرِفُ بَيْتِي الرَّيفِيَّ الْمُعَطَّرَ (بِالشَّامْبَاكِ)
الَّذِي يُزْهِرُ عَلَى جَانِبِ الْمَعْبَدِ
سَأُظِلُّ سَاهِرًا طُولَ اللَّيْلِ
وَسَوْفَ أُغْنِي
عَلَى أَمَلٍ فِي أَنْ تَبْلُغَكَ أُغْنِيَاتِي
وَلَكِنِّي أَخْشَى أَنْ يَأْخُذَنِي النُّعَاسُ
فِي نِهَآيَةِ اللَّيْلِ

وَمِنْ صَوْتِي الْمُرْهَقِ
تَحْتَفِي الْأَلْحَانِ

آه، اجْعَلْ رُوحِي نَفِيَّةً
فِي شَلَالِ الضِّيَاءِ الصَّبَاحِيِّ
وَأَمْسَحْ عَنِّي الْعُبَارَ الَّذِي يُعْطِينِي وَيُخْفِينِي
تلك النَّاعِسَةُ فِي أَعْمَاقِي الْمَأْخُوذَةِ فِي شِبَاكِ النَّوْمِ
وَالْمِسْهَاءِ بِلُطْفِ السُّوْطِ الذَّهَبِيِّ لِجَبِينِ الْفَجْرِ
الْبَاكِرِ

إِنَّ الرِّيحَ تُهْبُ مِنْ قَلْبِ الْكَوْنِ
رِيحَ الْحَيَاةِ الْمَجْنُونَةِ، مُحَمَّلَةً بِالْأَعْيُنَاتِ
فَاجْعَلْ قَلْبِي يَتَجَاوَبُ بِلَمْسَتِهَا الرَّقِيقَةَ

* * *

وَصَبَاحُ الْأَرْضِ يَتَأَجَّجُ فِي حِضْنِ الْأُمِّ الْأَرْضِيَّةِ

وَنَجْمَةُ الْمَسَاءِ، فِي هَيْئَةٍ تَأْمِيلِيَّةٍ، تُرْقَبُ
نُورَهَا.

إِنَّ النُّورَ مِثْلَ النَّظَرَةِ الْقَلِيلَةِ لِلْمَحْبُوبِ الذَّاهِلِ عَنْ نَفْسِهِ
يَصِيبُ مِثْلَ الْخَوْفِ الَّذِي يَرْتَجِفُ فِي الْأَرْضِ
الْحَضْرَاءِ

وَيَنْبِضُ بِأَلَمٍ فِي الرِّيحِ الَّتِي لَا تَسْتَقِرُّ
إِنَّ صَوْتَ نَجْمَةِ الْمَسَاءِ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاوَاتِ
حَامِلًا الْبَرَكَاتِ

وَاللَّهْبُ الْخَالِدُ مُتَشَوِّقٌ إِلَى التَّاجِحِ
وَالْاشْتِعَالِ فِي لَهَبٍ فَا نِ .

فِي قَلْبِ الرَّعْدِ يَلْهُو النَّعْمُ
فَأَسْتَيْقِظُ عَلَى إِيقَاعِهِ
وَأَنْتَشِي بِتِلْكَ الْحَيَاةِ
الْمُخْتَفِيَّةِ فِي قَلْبِ الْمَوْتِ

عند اندفاع العاصفة
يرقص قلبي فرحاً
فانتزعتني من حِضْنِ الرَّاحَةِ
وغطّسني في العمقِ
حيث يسود الأمنُ في جلالِ
وسَطِ القلقِ .

لقد أُنعمَ كأسُ حياتي
بالرَّحيقِ الذي ملأتهُ بهِ
أنتَ لا تُعرفُ، أنتَ لا تُعرفُ
خفيّةً، ودونَ أن يراك أحدُ
وكمثلُ الزَّهرِ الذي يَغزُو اللَّيْلَ بِعِطْرِهِ
أفعمتَ قلبي بأغانيكَ
أنتَ لا تُعرفُ، أنتَ لا تُعرفُ

لَقَدْ حَانَ وَقْتُ الْفِرَاقِ
فَارْفَعِ وَجْهَكَ اللَّطِيفَ، وَحَدِّقْ فِيَّ
وَبِمَوْتِ لَطِيفِ أَهْبِ حَيَاتِي عِنْدَ قَدَمَيْكَ
الشَّيْءَ الَّذِي لَمْ تَعْرِفْهُ، لَمْ تَعْرِفْهُ
هَلْ يُمَكِّنُ لَيْلَتِهِ الصَّامِتَةَ مِنَ الْأَلَمِ الْخَفِيِّ
أَنْ تَنْتَهِيَ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ اللَّيْلِيَّةِ؟

بُنُورِ عَيْنِيَّ
رَأَيْتُ مَا هُوَ مَوْجُودٌ بِالْخَارِجِ
أَمَّا الْآنَ وَقَدْ انْطَفَأَ هَذَا النُّورُ
فَإِنِّي أَبْصِرُ دَاخِلِي
لَقَدْ مَثَلْتُ مَعَكَ فِي مَسْرَحِ الْعَالَمِ
فَاخْتُمِ هَذِهِ التَّمْثِيلِيَّةَ
لِيَبْدَأَ لِقَاءَ الْقُلُوبِ
إِنْ أَوْتَارَ (فِينَا) قَدْ لُمِسَتْ

و(فِينَا) الْقَلْبَ مَا يَزَالُ يُغْنِي
الْمُسْنِي بِنَارِكَ
الْمُسْنِي بِنَارِكَ
اصْهَرُ وَطَهَّرْ حَيَاتِي
وَأَرْفَعْ جَسَدِي
وَأَجْعَلْ مِنْهُ مِصْبَاحًا فِي مَعْبَدِكَ
وَأَجْعَلْ مِنْ أَعْيَانِي
الزَّيْتِ الَّذِي يُوقِدُ اللَّهَيْبِ
فِي قَلْبِ اللَّيْلِ
تُزْهِرُ النُّجُومُ بِلَمَسَاتِكَ
وَلَوْعَتِي الْمُلتَهَبَةُ
تَرْتَفِعُ نَحْوَ السَّمَاءِ

نهاية اليوم

حِينَ يَصُمْتُ النَّايَ
وَيَتَبَدَّدُ النُّورُ
وَحِينَ يُنْزَلُ السَّتَارُ عَلَى مَشْهَدِ الْحَيَاةِ
وَلَا يَجْتَمِعُ النَّاسُ لِإِرْتَاءِ الشَّاعِرِ
وَيَظِلُّ الرَّئِيسُ فِي بَيْتِهِ يَلْعَبُ الْوَرَقَ
وَلَا يَدْعُو إِلَى اجْتِمَاعِ إِحْيَاءِ الذِّكْرِ
أَعْرَفُ أَنَّ الزُّهُورَ هِيَ الَّتِي سَتَذْكُرُنِي
وَفِي كُلِّ مَكَانٍ حَوْلِي تَعْرِفُ النَّايَاتُ أَلْحَانَهَا
وَهِيَ تَحْتَفِلُ بِكُلِّ أَعْيَادِ الْفُصُولِ
فِي الرَّبِيعِ، وَالخَرِيفِ وَفِي مَوْسِمِ الْأَمْطَارِ
هُنَاكَ سَيَزِيْنُ مَكَانِي بِكُلِّ الْحُبِّ
فِي الطَّرَاوَةِ، وَفِي الْإِخْضِرَارِ الْمُنْعِشِ

وصمّتي المغمور بأغاني الطيور
وأعرف أن في الغابات
سيتردد صدَى هذه الرّسالة
لقد أعطيتُ لأتغاميمهم كَلِمات الشّاعِر
سيتردد صدّاها في قَطرات المَطَر.
في رَعْدِ العُيُوم
في ألوان الفَجْرِ البَاكِر
أعملُ على أن يُحفظ ذِكْرِي
حيثُ حَفيفُ الأوراق
وحيثُ الندى يتألّق في بَسَمات حَاطِفَة
وحيثُ الظلالُ تنامُ في ضوئِ الشَّمسِ
وحيثُ يبدؤُ العَمَلُ كأنّه تَسْلِيَة
وحيثُ يُوقَدُ المِصْبَاحُ في وَحْدَة
والرّاحَةُ تُعْمَرُ وعاءُ العَطَايا
بأحلامٍ مُتعدِّدَة الألوان

الجواب

لا تَسْأَلْنِي
مَا هُوَ الْخَلَاصُ؟
وَأَيْنَ يُوجَدُ؟
لستُ بَحَاثًا، وَلَكِنِّي شَاعِرٌ فَحَسَبُ
أَعِيشُ مُلتَصِقًا بِهَذِهِ الْأَرْضِ
وَأَمَامِي يَجْرِي نَهْرُ الْحَيَاةِ
حَامِلًا فِي تَيَّارِهِ
النُّورَ وَالظِّلَّ
وَالْحَيْرَ وَالشَّرَّ
وَالرَّيْحَ وَالخَسَاةَ
وَالدموعَ وَالابْتِسَامَ
كُلُّهَا أَشْيَاءٌ تَتَلَاشَى

ثُمَّ تُنْسَى
وعلى مِيَاوِ هَذَا النَّهْرِ
يُطِلُّ الْفَجْرُ بِالْوَاوِيهِ الْعَمِيقَةِ
وَيُنْشُرُ الْعُرُوبَ رِدَاءَهُ الْقُرْمُزِيَّ
وَالْأَشِعَّةَ الْقَمَرِيَّةَ تُنْزِلُ فِي ظِلَامِ اللَّيْلِ
كَلِمَاتِ الْأُمِّ الرَّقِيقَةِ النَّاعِمَةِ .
وَالشُّجُومُ تُرْتَلُّ صَلَوَاتِهَا .
وعلى أَمْوَاجِهِ
يَبِثُّ الْمَذْهُورِي عَطَاءَهُ
وَتَسْكُبُ الطُّيُورُ أَعْيَانِهَا .
وفي ذَلِكَ الْإِيْقَاعِ
تَتَلَاحَمُ عُبُودِيَّتِي وَحُرِّيَّتِي .
لَا أُرِيدُ الْإِحْتِفَازَ بِشَيْءٍ
وَلَا التَّعَلُّقَ بِشَيْءٍ
وَلَا الْارْتِبَاطَ بِرَوَابِطِ الْوَحْدَةِ وَالْإِنْفِصَالِ

وَلَكِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَتَمَوَّجَ مَعَ كُلِّ شَيْءٍ
رَافِعاً أَشْرَعْتِي لِلرِّيحِ الزَّائِلَةِ الْعَابِرَةِ.
آه أَيُّهَا الْجَوَّابُ الْعَظِيمُ
إِنَّ الطُّرُقَ الْعَشْرَ لَمَفْتُوحَةً أَمَامَكَ
لَيْسَ لَكَ هَيْكَلٌ
وَلَيْسَ لَكَ سَمَاءٌ
وَلَيْسَتْ لَكَ نِهَآيَةٌ أَخِيرَةٌ
وَفِي كُلِّ خُطْوَةٍ تَلْمَسُ الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ
فِي السَّيْرِ مَعَكَ ،
أَنْتَ الَّذِي لَا يَعْرِفُ الرَّاحَةَ ،
أَجِدُ خَلَاصِي
فِي كُنُوزِ الرَّحَلَةِ
وَفِي نُورِ الظُّلْمَةِ
وَفِي صَفْحَاتِ الخَلْقِ الْجَدِيدَةِ دَوَّماً
وَفِي كُلِّ لَحْظَةٍ تَحُلُّلٍ .

يَتَرَدَّدُ صَدَى
رَقْصِكَ وَغِنَائِكَ

* * *

انعتاق (١)

أَنْتَ
أَيُّهَا الْجَمَالُ الْأَبْدِيُّ
هَبْنِي الْقُوَّةَ، وَاعْطِنِي الشَّجَاعَةَ
اعْطِنِي سَمَاءَ الشُّعُورِ بِالرُّضَى
هَبْنِي الْانْعِتَاقَ اللَّامِحْدُودَ
مَنْ دَوَسَ التَّرَابَ الْيَوْمِيَّ
وَلَا تَدْعُنِي
أَتَرَنَّحُ فِي سَيْلِ اللَّحْظَةِ الصَّاحِبِ .
فِي اسْتِلَابِ اللَّوْعَةِ الْمُرِيبِ
تَعِيشُ شَجَاعَةً لَا تَعْيَا فِي قَلْبِ (جُونِي)
إِنَّهُ جَمِيلٌ وَلَطِيفٌ
حَتَّى وَلَوْ كَانَتْ قَطْرَاتُ الْمَطَرِ الدَّافِقَةِ

تُصِيْبُهُ

وَلَكِنَّهَا تُنْفَعُ حَيَاتِهِ الدَّافِقَةَ بِانْسِجَامٍ مَعَ الأَبَدِيَّةِ

إِنَّهُ يَتَوَجَّعُ بِلُطْفٍ بِسِيطِ فَوْقِ فِرَاسِ الشُّوْكِ

وَالكَمَالُ يَنْعَكِسُ فِي قَلْبِهِ اللُّطِيفِ

أَعْطِنِي تِلْكَ الشَّجَاعَةَ الهَادِئَةَ

الَّتِي تُحَصِّنُ نَسِيَانَهُ لِنَفْسِهِ .

جَمِيلَةً فِي مَحْدُودِيَّتِهَا

تِلْكَ البَسَاطَةُ الَّتِي لَا تَعْرِفُ الشُّوْكَ .

فَلْتَوَحَّدْ فِي إِيقَاعِ مِنَ الأَمْنِ وَالطَّمَأِينَةِ

كُلِّ أَفْكَارِي وَكُلِّ تَعْبِيرِي

* * *

انعتاق (٢)

للهُرُوبِ بَعِيداً
بَعِيداً عَنِ نَفْسِي.
فَإِنِّي أَلْتَمِسُ لُطْفَكَ
وَدَعْوَتَكَ
أَيُّهَا الْعَظِيمُ اللَّامُنْظُورُ،
فَلتَجْعَلِ الْحَانَ يُولِيوِ الْمُمَطِّرِ
تَمَلُّاً قَلْبِي
وَتَعَزِيفَ فَوْقَ نَابِي
وَتُسْبِينِي
الصَّخْبَ الدَّائِمَ لِلأَحْيَاءِ مِنْ حَوْلِي

وَجَذَبَ الْأَرْضِ تَحْتَ أَقْدَامِي
إِنِّي أَنْتَظِرُ ثَابِتًا كُلَّ يَوْمٍ ، عِنْدَ حَافَةِ الطَّرِيقِ .
إِن النَّهَارَ يَنْتَهِي .
وَالظُّلَالَ تَزْدَادُ ظُلْمَةً .
وَالشَّمْسُ الْمُتَعَبَةُ تَبْحَثُ عَنِ الْأَمْنِ
فِيمَا وَرَاءَ الْأُفُقِ .
وَمِثْلَ النَّهَارِ الَّذِي يَبْتَعِدُ بِحُطُوتِ كَبِيرَةٍ
نَحْوَ اللَّانِيهَائِي الْمَجْهُولِ
حَاجًّا وَحِيدًا فِي الطَّرِيقِ الْمُظْلِمَةِ
بِلَا دَرْبٍ
تَائِهًا فِي أُغْنِيَةٍ مِنْ أَغْنِيِ اللَّانِيهَائِي
هَكَذَا اجْعَلْنِي مُتَجَاوِزًا فِي عَطَائِي لِذَاتِي
وَاجْعَلْ هَذَا الْفَرَاغَ يَمْتَلِئُ بِالْأَنْعَامِ .
وَقُدْنِي مِنْ دَرْبٍ إِلَى دَرْبٍ
أَيُّهَا الْجَلِيلُ اللَّامَنْظُورُ

عازف الناي

يَا عَازِفَ النَّايِ

اعْرِفْ نَايَكَ

وَدَعْنِي أَسْمَعُ اسْمِي الْجَدِيدِ .

هَكَذَا كَتَبْتُ إِلَيْكَ أَوَّلَ حُرُوفِي

أَتَذْكُرُ؟

إِنِّي فَتَاةُ الْبِنْغَالِ . . فَتَاتِكَ

إِنَّ اللَّهَ لَمْ يُنْفِقْ وَقْتًا طَوِيلًا

لِيَشْكَلَ مِنِّي مَخْلُوقًا بَشَرِيًّا

وَلَكِنَّهُ تَرَكَنِي غَيْرَ كَامِلَةٍ .

بَيْنَ الدَّاخِلِ وَالخَّارِجِ

بَيْنَ الْمَاضِي وَالْحَاضِرِ

بَيْنَ الْفِكْرِ وَالشُّعُورِ
وَبَيْنَ الشَّهْوَةِ وَالْقُدْرَةِ
لَا يُوجَدُ انْسِجَامٌ كَامِلٌ.
لَمْ يَضْعُنِي فِي زَوْرَقِ الْعَهْدِ الْحَدِيثِ
وَلَكِنَّهُ شَدَّنِي إِلَى الضِّفَّةِ الْمُنْحَفِضَةِ
مِنَ تَيَّارِ الزَّمَنِ.
هُنَاكَ، فِي النُّورِ السَّاطِعِ
أَرَى بِيصْرٍ وَاهِنِ الْعَالَمِ الْبَعِيدِ
إِنَّ عَالَمِي مُصَابٌ بِالْفَقْرِ
وَلَا يُمَكِّنُهُ لِأَيِّ سَبَبٍ أَنْ يُكَوْنَ مُنْعَمًا.
إِنَّهُ يَمُدُّ يَدَيْهِ
وَلَكِنَّهُ لَا يَبْلُغُ شَيْئًا
وَالنَّهَارُ لَا يَنْتَهِي
وَأَتَأَمَّلُ الْمَجْرَى مُتَنْظِرَةً
أَنْ أَرَى الزَّوْرَقَ

وَقَدْ سَجِبَ بَعِيداً، هُنَاكَ فِي ضَيْفَةِ الْحُرِّيَّةِ.

وَفِي ذَلِكَ الْوَقْتِ بِالذَّاتِ

تَرَدَّدَ صَدَى نَائِكَ

يَعْرِفُ أَنْعَامَ الْحَيَاةِ الْمَلَأَى

وَفِي النَّبْضِ الْخَامِدِ لِلْعُرُوقِ

يَعُودُ تَيَّارُ الْحَيَاةِ

أَيَّ انْسِجَامٍ هَذَا الَّذِي تَعْرِفُ؟

مَنْ الَّذِي يَعْرِفُ أَيَّ لَوْعَةٍ

تَنْطَلِقُ فِي قَلْبِ أَيِّ وَاحِدٍ؟

رُبَّمَا كُنْتَ تَعْرِفُ

أُغْنِيَاتِ الرِّيحِ الشَّرْقِيَّةِ

إِنَّهُ غِنَاءُ الشَّبَابِ الْجَدِيدِ

إِنِّي أَصْغِي إِلَيْهِ، وَأَجْسُهُ

وَالْتَيَّارِ الْجَبَلِيِّ الرَّقْرَاقِ أَخَذَ يَتَعَاطَمُ

وَيَتَرَدَّدُ فِي رَعْدِ الرِّيَاحِ الْمَوْسِمِيَّةِ

عِنْدَ بُرُوعِ الْفَجْرِ الْبَاكِرِ
أَرَى الضُّفَافَ قَدْ سُحِبَتْ بَعِيداً
وَبِالرُّوعَةِ الْتِيَّارِ الْجَارِفِ
قَدْ هَزَّتِ الصَّخْرَ الصَّامِدِ
وَفِي دَمِي ، كَانَ عَرْفُكَ وَأَنْعَامُكَ
يَحْمِلَانِ إِلَيَّ نِدَاءَ الْعَاصِفَةِ
الْامْتِلَاءَ ، النَّارَ ، الْحَرِيقَ
نِدَاءَ الْمُحِيطِ الَّذِي يَهْزَأُ بِالْمَوْتِ
النَّدَاءَ الَّذِي يَهْزُ سِلَاسِلَ الرِّيحِ الْوَحْشِيَّةِ
فِي الْخُلُجَانِ الضَّيِّقَةِ لِلْأَكَامِلِ
وَالسُّلْبِ الْمُنْدَفِعِ لِلتِّيَّارِ الرَّحْبِ
يَصِيلُ ، فَيُغْطِي كُلَّ شَيْءٍ وَيَجْرِفُ كُلَّ شَيْءٍ -
إِنْ حِمْلَ زَوَابِعِ الرَّبِيعِ مَشْحُونُ بِالْمَطَرِ
وَمِثْلَ غَضَبِ الْغَابَةِ
يُدْوِمُ حَوْلَ الْجَسَدِ .

يَا إِلَهِي ، أَنْتَ لَمْ تُعْطِنِي أَجْنِحَةَ ،
أَعْنِيَا تُكَ فَقَطْ هِيَ الَّتِي لَمَسْتَ أَحْلَامِي
مَعَ جُنُونِ زَوَابِعِ الْأَمْطَارِ .
وَفِي الْبَيْتِ كُنْتُ أَعْمَلُ بِهَدْوٍ
وَالْجَمِيعُ يَقُولُونَ عَنِّ عَمَلِي إِنَّهُ (طَيِّبٌ)
وَلَكِنَّهُمْ يَجِدُونَنِي خَالِيَةً مِنَ الرَّغْبَةِ فِيمَا أَعْمَلُ
وَلَا شَهْوَةَ عَارِمَةٍ
وَبِضْرَبَةٍ خَفِيفَةٍ مِنَ الرِّيحِ
وَجَدْتُ نَفْسِي فَوْقَ الْأَرْضِ
لَسْتُ جَرِيئَةً بِمَا فِيهِ الْكِفَايَةُ
حَتَّى أَدْفَعَ الْحَرَسَ الَّذِي يُدَافِعُ عَنِّي
وَلَا أَعْرِفُ كَيْفَ أُحِبُّ بِجِدِّيَّةٍ
وَلَكِنِّي أَعْرِفُ فَقَطْ كَيْفَ أَبْكِي
يَا عَارِزَ النَّايِ
حِينَ أَصْغِي لِأَنْعَامِكَ

يَبْلُغُنِي نِدَاءُ عَالَمِ الْخَالِدِينَ
هُنَاكَ أَرْفَعُ جَبِينِي فِي الْمَجْدِ
هُنَاكَ، حَيَاتِي تُصْبِحُ شَبِيهَةً
بِشَّمْسٍ شَابَّةٍ
لَمْ تَحْجُبْهَا
هُنَاكَ حَمَاسِي الَّذِي لَا يُقِيمُ اعْتِبَاراً
لِلْمَحْظُورَاتِ
يَفْتَحُ أَجْنِحَةً نِيرَانِيَّةً
وَمِثْلَ عُصْفُورِ الرَّبِّ الْجَائِعِ
يَطِيرُ نَحْوَ الْفَرَاغِ الْمَجْهُولِ
وَيَسْتَيْقِظُ فِي ذَاتِي الْمْتَمَرِّدِ
وَبِنَظَرَةٍ مُحْتَفِرَةٍ
يُدِينُ جِبْنَ الْجُمُوعِ حَوْلِي
يَا عَارِزُ النَّايِ
رُبَّمَا كُنْتَ تَرْغَبُ أَنْ تَرَاني

فَلَا أَدْرِي الزَّمَانَ الْمُنَاسِبِ
أَوْ الْمَكَانَ الْمُنَاسِبِ لِلِقَائِنَا
وَلَا كَيْفَ أَتَعَرَّفُ عَلَيْكَ
فِي اللَّيْلَةِ الْوَحِيدَةِ الْمُمَطَّرَةِ
جَاءَتْ كَالظِّلِّ
لِلْقَاءِ بِكَ .

حِينَ سَمِعْتَ نِدَاءَكَ
تِلْكَ الصَّبِيَّةُ الْعَذْبَةُ الرَّقِيقَةُ
خَرَجَتْ مِنَ الزَّاوِيَةِ الْمُظْلِمَةِ
امْرَأَةً سَافِرَةً

إِنهَا كَالْبَيْتِ الشَّعْرِيِّ الْأَوَّلِ
الَّذِي انْسَكَبَ فَجَاءَ فِي قَلْبِ (يَالْمِيكَلِي)
وَسَحَرَتْكَ

وَلَكِنَّهَا لَنْ تَنْزِلَ مِنْ عَرْشِ الْغِنَاءِ
وَجَالِسًا فِي ظِلَالِ الْأَنْغَامِ

تَكْتُبُ كَلِمَاتِكَ
لَنْ تَعْرِفَ أَيْنَ تَعِيشُ
يَا عَارِفَ النَّايِ .
دَعَهَا تَظَلُّ بِعَيْدَةٍ
عَنْ أَنْعَامِ نَائِكَ .

* * *

جاراتي

آه يا جَارَاتِي
لَقَدْ رَأَيْتُ صُورَتَكَ فِي قَلْبِي
عِنْدَ نِهَايَةِ اللَّيْلِ
وَاللَّهِيبُ الْهَادِيءُ لِلْمُصْبَاحِ
كَانَ يُضِيءُ حَاجِبِيكَ وَشَفَتَيْكَ
وَشَعْرَكَ الْأَبْيَضَ .
وَالنُّورُ الْهَادِيءُ لِنَجْمَةِ الصَّبَاحِ
كَانَ يَقَعُ عَلَى عَيْنَيْكَ الْهَادِيَّتَيْنِ
كَمَا تَقَعُ الْبَرَكَاتُ الْإِلَهِيَّةُ .
وَفِي الْغُرُوبِ
كَانَ عِطْرُ الدُّفْلَةِ الْوَاهِنِ .
قَدْ جَعَلَ الْهَوَاءَ حَزِينًا مَكْرُوبًا

خَافِتْنَا كَمَا تَخَفْتُ آخِرَ الْحَانِ (فينا)

عِنْدَ نِهَايَةِ الْاِحْتِفَالِ .

وَالهَوَاءُ الرُّطْبُ الَّذِي بَلَّهَ النَّدى يَتَحَرَّكُ

بِهُدُوءٍ .

وَأَعْصَانُ أَشْجَارِ الْأَسْتِ سَاكِنَةٌ .

وَذَلِكَ الْمَجْرَى النَّحِيفُ، الصَّافِي

لِلنَّهْرِ

يَتَدَفَّقُ فِي صَمْتٍ نَحْوَ الْبَيْتِ الْمَهْجُورِ

مِثْلَ الْخُطُوطِ الْمُتَعَبَةِ لِلْعَشِيقَةِ

الْمُنْسِيَّةِ .

أَهْ يَا جَارَاتِي ذَاتِ الشَّعْرِ النَّاصِعِ

لَقَدْ رَأَيْتُكَ فِي السَّمَاءِ الْخَرِيفِيَّةِ لِلْحَيَاةِ

وَفِي الْعُيُومِ الصَّافِيَّةِ النَّقِيَّةِ

الْخَالِيَةِ مِنَ الْمَطْرِ .

وَهُنَا، تَحْتَ، تَمْتَدُّ الْحُقُولُ مَلِيئَةً

بِالْقَمَحِ .
وَالنَّهْرُ فَائِضٌ حَتَّى الحَوَافِي .
فِي هُدُوءِ الكَمَالِ
فَإِنَّ الأَرْضَ تَعْدُو عَمِيقَةً فِي جَمَالِهَا
يَا جَارَاتِي .
لَقَدْ رَأَيْتُكَ فِي آخِرِ ضِفَافِ الوُجُودِ
حِينَ كَانَتْ ضَجِيجُ الزَّمَنِ غَارِقًا
فِي الأَعْمَاقِ السَّحِيقَةِ .
وَفِي اللَّيْلِ
وَبَعْدَ حَمَامِكَ كَحَاجَّةٍ إِلَى البَحْرِ الهَادِيءِ
تُنْحِنِينَ بِضَفِيرَتِكَ الطَّلِيقَةِ
أَمَامَ الهَيْكَلِ .
وَتَعْبُدِينَ الخَاتِمَةَ الكَامِلَةَ
لِلْقَلْبِ الخَالِي مِنْ الرَّاحَةِ .
حَيْثُ تُقِيمُ السَّلْمُ الخَالِدَةَ

وَتَسْكِبُ عَلَى رَأْسِكَ النَّيْلَ

نِعْمَةً سَامِيَةً

تُشْبِهُ آخِرَ أَشِعَّةِ الشَّمْسِ

* * *

امراة

الرَّحِيقُ وَالْفَرَحُ تُشَكَّلَا فِي الْمَرْأَةِ
وَأَثَارَا أَمْوَاجًا مُضْطَرِبَةً
مِنْ أَجْلِ الظَّفَرِ بِالذِّكْرِ الْمُعْتَرِّ بِعُزْلَتِهِ
وَحَلْفَ سِرِّ (تَابَاسِيَا) الْإِلَهِيِّ
بَحَثَ النَّحَاتُ فِي فِكْرِهِ عَنِ الشُّكْلِ الْأَوْلِيِّ
وَحَاوَلَ أَنْ يَسْجُنُ فِي إِبْدَاعِهِ
هَذَا الْجَمَالَ الْفَانِي
وَلَكِنَّهُ هَزِيمٌ بِسَبَبِ الْعِفَّةِ وَالْخَوْفِ
وَتَعَالِيمِ الْكُتُبِ الْمُقَدَّسَةِ
وَجَعَلَ الْعُرْيَ شَيْئًا صَافِيًا نَقِيًّا
بَعِيدًا عَنِ دَائِرَةِ اللَّذَّةِ الْحِسِّيَّةِ
الْأَلْمِ اللَّانِيهَاتِي فِي قَلْبِ الْإِنْسَانِ

وَفِي تَوْقِهِ إِلَى الرَّحِيقِ الْقُدْسِيِّ فِي النَّبِيدِ الْأَرْضِيِّ
بَدَّدَ آثَارَهُ

فِي الْغِنَاءِ ، فِي الرَّسْمِ ، فِي الصَّخْرِ
وَعَهْدًا بَعْدَ عَهْدٍ
وَبَقْعَةً بَعْدَ بَقْعَةٍ
سَالِمَةً مِنَ الذُّبُولِ
سَلِيمَةً مِنَ الضَّعْفِ
لُوحِظَ جَمَالُهَا
فِي حُلْمِ الْفَنَّانِ .

وَفِكْرُ الْإِنْسَانِ ، الْمَطْرُودِ مِنَ السَّمَاءِ
جَذَبَ إِلَى نَفْسِهِ رَوْعَةَ الْكَوْنِ

وَحَقَّقَ الْوَحْدَةَ بَيْنَ الْمُتَشَكِّلِ وَاللَّامُتَشَكِّلِ
تَحِيَّتِكَ كَالْجَوْهَرَةِ الَّتِي تُزَيِّنُهُ
حِينَ يَضْمُكُ

إِنْ النُّورِ الصَّافِي الطَّاهِرِ الَّذِي تَرَاهُ بِهِ
 عَيْنَاكَ الْمُسْتَضِيئَتَانِ بِالْعِبَادَةِ لَهُ
 قَدْ رَشَّ وَجُودَهُ كُلَّهُ
 وَوَسَمَ جَبِينَهُ بِسِمَةِ الْعَظْمَةِ .
 أَنْ تَكُونِي إِلَهَةً ، أَوْ مُجَرَّدَ امْرَأَةٍ
 فَإِنَّ الْأَشِعَّةَ الَّتِي انطَلَقَتْ مِنْ قَلْبِكَ
 قَدْ طَوَّقَتْهُ بِنُورِ قُدْسِي
 لَقَدْ وَجَدَ وَجْهَهُ الْحَقِيقِيَّ فِيكَ
 صَوْتَ النَّصْرِ .
 وَحُبُّكَ قَدْ وُلِّدَ فِيهِ
 النُّعْمَةَ الْمُشِعَّةَ فِي وَجُودِهِ
 وَالرَّحِيقَ الَّذِي يَحْتَسِي
 يَنْسَكِبُ مِنْ قَلْبِكَ الْمُفْعَمِ
 تَمَامًا ، مِثْلَ الْهَالَةِ الرَّائِعَةِ الَّتِي تُحِيطُ بِالشَّمْسِ
 عِنْدَ أَوَّلِ بُزُوعِهَا

وَهَكَذَا فَإِنْ وَحِيَ اللَّهُ يُتَوَجُّرُ رَأْسُكَ
وَحِينَ يَلْمَسُ الْأَرْضَ يَنْحَنِي فِي إِجْلَالٍ

* * *

العام المنصرم

الرُّحْلَةَ تَنْتَهِي
وَعِظَمَ الْمَوْتِ تَتَكَثَّفُ
عِنْدَ نِهَايَةِ الطَّرِيقِ الْغَرْبِيِّ .
وَالشَّمْسُ الْغَارِبَةُ
تَجُودُ عِنْدَ رَحِيلِهَا
بِكُنُوزِهَا ، وَتُبَدِّدُهَا بِكِلْتَا يَدَيْهَا .
وَفِي إِفَاضَةِ الْأَلْوَانِ
أُرَى
أَفْقَ الْمَوْتِ الْمُضِيِّ
وَعِظَمَةَ الْحَيَاةِ .
وَتَتَوَقَّفُ أَنْفَاسِي
بِهَذِهِ الْكَلِمَاتِ الَّتِي تَنْطَلِقُ مِنِّي

(مَا أَكْثَرَ مَا أُحِبُّتُ)

إِنَّ السِّرَّ الْأَبَدِيَّ الَّذِي يُفَعِّمُ ضِيْفَاةً
قَدْ حَقَّقَ وَحْدَةً حَمِيمَةً، بَيْنَ الْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ .

وَاللَّيْلِ وَالنَّهَارُ قَدْ مَلَأَا بِالرَّحِيقِ

كَأْسَ الْعَمِيِّ .

لَقَدْ رَحَلْتُ وَحِيداً

فِي الدَّرْبِ الْقَاسِي حَاجِئاً نَحْوَ الْأَلَمِ .

تَلْفَحُنِي شَمْسُ إِبْرِيلِ اللَّاهِبَةِ .

مَا أَكْثَرَ الْأَيَّامَ

الَّتِي بَقِيتَ فِيهَا بِلا رِفَاقِ!

مَا أَكْثَرَ اللَّيَالِي

بِلا مِصْبَاحِ!

وَمَعَ ذَلِكَ فَفِي أَعْمَاقِ قَلْبِي

شَعَرْتُ بِلَمَسَاتِكَ .

وَإِكْلِيلُ شَوْكِ الْإِفْكِ وَالْبُهْتَانِ

مِئَةً مَرَّةً جَرَّحَنِي .
وَلَكِنِّي تَقَبَّلْتُهُ كَمَا لَوْ كَانَ إِكْلِيلَ الزَّفَافِ
مُتَأَمِّلاً بِعَيْنَيْنِ مُصَوَّبَتَيْنِ
الْوَجْهَ الْمُضِيءَ لِلْأَرْضِ .
فَعَمَّرْتَنِي لِأَكْشِيمِي الَّتِي تُقِيمُ
بَيْنَ آلاَفِ أَزْهَارِ اللُّوْتَسِ
بِسَخَاءٍ لَا حَدَّ لَهُ
أَصَابَتْنِي رُوحاً وَجَسَداً .
فَأَسْرَتْ فِي نَائِي
زُفْرَةَ الدَّمُوعِ وَابْتِسَامَاتِ الكَوْنِ .
أُولَئِكَ الَّذِينَ تَجَسَّدُوا (كَبَشَرِ)
وَجَهَرُوا (بِالْكَلِمَةِ) الْمُقَدَّسَةِ الْمُضْمَرَّةِ
الَّتِي يَتَعَدَّرُ التَّعْبِيرُ عَنْهَا
هُمُ أَشْبَاهِي وَأَمْثَالِي .
مَا أَكْثَرَ المَرَاتِ الَّتِي وَجَدْتَنِي فِيهَا مَهْزُوماً

فِي الْخَوْفِ وَفِي الْخِزْيِ .
وَمَعَ ذَلِكَ فَنِي صَوْتِي كَانَ يُدَوِّي
النَّصْرَ اللَّامِحْدُودَ .

وَرَعْمَ مَا قَدْ يُصِيبُ عِبَادَتِي مِنْ نَقْصِ
فَمِنْ حِينٍ إِلَى آخَرَ كَانَ قَلْبِي
الْبَاكِي

يَفْتَحُ أَبْوَابَ السَّجْنِ عَلَى مِصَارِيحِهَا .
فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ تَلَقَّيْتُ
حَقَّ الْمِيلَادِ كَأُنْسَانَ .
وَذَلِكَ هُوَ حَظِّي الطَّيِّبُ .
وَالرُّحِيقُ الْمُقَدَّسُ بِالنُّسْبَةِ لِي
كَانَ يَجْرِي عَبْرَ الْعُصُورِ
فِي الْفِكْرِ، فِي الْمَعْرِفَةِ، فِي الْعَمَلِ .
وَالكَمَالُ

الَّذِي تَنَالَتْ صُورَتُهُ مُشْرِقَةً مُضِيئَةً فِي قَلْبِي

أَعْرِفَ أَنَّهُ سَيَتَوَزَّعَ عَلَى الْجَمِيعِ .
جَالِسًا جَلْسَةً تَأْمِلِيَّةً
فَوْقَ الْبِسَاطِ التُّرَابِيِّ
رَأَيْتُ (الْوُجُودَ الْأَسْمَى)
مَرشُوشًا بِالنُّورِ الَّذِي يَتَأَلَّقُ فَوْقَ كُلِّ الْأَنْوَارِ .
إِنَّهُ أَصْغَرَ مِنْ أَصْغَرِ حَبَّةٍ .
وَأَكْبَرَ مِنْ أَيِّ عَظْمَةٍ .
إِنَّهُ هُوَ
لَقَدْ وَجَدْتُهُ فِيمَا وَرَاءَ إِمْكَانِيَّاتِ الْحِيسِّ
وَنَفَذَ فِي حِجَابِ جَسَدِي .
وَرَأَيْتُ فِي وَمَضَاتٍ مُفَاجِئَةٍ
اللَّهَبَ الَّذِي لَا يَخْمَدُ .
وَفِي كُلِّ مَكَانٍ
قَدَّمَ فِيهِ رَجُلُ اللَّهِ
تُرْبَانًا

كَانَ لِي نَصِيبٌ مِنْ بَرَكَتِهِ .
وَفِي كُلِّ مَرَّةٍ يُحَرَّرُ فِيهَا الْإِنْسَانُ نَفْسَهُ
مِنْ أَدْغَالِ الْوَهْمِ
أَتَعَرَّفَ فِيهِ عَلَى نَفْسِي .
وَفِي كُلِّ مَرَّةٍ يُسَيِّطِرُ فِيهَا الْبَطْلُ
بِلاَ خَوْفٍ، عَلَى الْمَوْتِ
يَكُونُ لِي فِي تَارِيخِهِ مَكَانٌ .
وَأَمَامَهُ هُوَ
الَّذِي يَسْمُو عَلَى كُلِّ سُمُوٍّ
أُنْحِنِي
رَغْمَ أَنِّي أَنْسَى كَثِيرًا أَنْ أَتَغْنَى بِاسْمِهِ .
إِنَّ بَرَكَتَ السَّمَاوَاتِ الصَّامِتَةِ
وَنَشْوَةَ الْفَجْرِ الْوَالِدِ
قَدْ أَصَابَتَا قَلْبِي .
وَفِي هَذَا الْعَالَمِ الْمَلِيءِ بِالْفِتْنَةِ

وَفِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الْعَامِرَةِ بِالْعَظَمَةِ
فَإِنَّ الْمَوْتَ يَحْمِلُ إِلَيَّ تَمَامِي .
الْيَوْمَ ، آخِرَ أَيَّامِ الْعَامِ
وَحِينَ تَحِينُ سَاعَةُ الْوَدَاعِ
أَيُّهَا الْمَوْتُ ، أَرْحُ حِجَابَكَ .
مَا أَكْثَرَ الْأَشْيَاءَ الَّتِي رَحَلَتْ
إِنِّي أَعْرِفُ ، إِنِّي أَعْرِفُ .
كَثِيرٌ مِنَ الْعَطْفِ ، كَثِيرٌ مِنَ الْحُبِّ .
وَقَدْ انْطَفَأَ الْمَصْبَاحُ
دُونَ أَنْ يُخْلَفَ ذِكْرِي .
إِنَّ يَدَكَ أَيُّهَا الْمَوْتُ لَمُفْعَمَةٌ
بِاللَّحْظَةِ الَّتِي هِيَ أَبَدِيَّةٌ .
وَيَدُكَ أَنْتِ أَيُّهَا النَّهْيَةُ
لِعَامِرَةِ بِالكَنْزِ الَّذِي هُوَ خَالِدٌ .

حياة

لا أريدُ أن أموتَ في هَذَا الْعَالَمِ الْجَمِيلِ
وَلَكِنِّي أريدُ أن أحيَا في قَلْبِ الْإِنْسَانِ
وَأَنْ أَجِدَ في الغَابَةِ الْمُزْهِرَةِ
الشَّمْسَ مِحْرَابًا
إِنْ لُعْبَةَ الْحَيَاةِ تَتَصَاعَدُ كَالْأَمْوَاجِ
بِدُمُوعِهَا وَابْتِسَامَتِهَا
وَلِقَائِهَا وَفِرَاقِهَا
وَهِيَ تُوَحِّدُ مَعًا
آلَامَ وَأَفْرَاحَ الْإِنْسَانِ
أريدُ أن أُنبي فوقَ هَذِهِ الْأَرْضِ
بَيْتِي الْخَالِدِ
وَأَنْ أَحْمِلَ أُغْنِيَاتِ كَالزُّهُورِ الْمُوشِكَةِ

عَلَى التَّمَّحِ
لِكِي أَجْمَعَهَا لَكَ
وَأَحْمِلَ الْفَجْرَ وَالْغُرُوبَ
فَخُذِيهَا ضَاحِكَةً
وَحِينَ تَذُبُّ
انْثُرِيهَا بَعِيداً

* * *

أنا (١)

فِي ضَمِيرِي
تَأَلَّقْتُ زُمُرْدَةً خَضْرَاءُ سَاطِعَةٌ
وَيَاقُوتَةً حَمْرَاءُ
وَفَتَحْتُ عَيْنِي نَحْوَ السَّمَاءِ
فَرَأَيْتُ نُورًا يَتَّصِعَدُ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ
فَالْتَفَتُّ إِلَى اللَّوْنِ الْوَرْدِيِّ
وَقُلْتُ (جَمِيلُ)
وَلَقَدْ كَانَ حَقًّا جَمِيلًا
سَتَّقُولُ
(إِنَّهَا الْفَلَسَفَةُ وَلَيْسَتْ صَوْتِ الشَّاعِرِ)
فَأَجِيبُ
(إِنَّهَا الْحَقِيقَةُ فَهِيَ إِذْنَ الشُّعْرِ)

هَذَا هُوَ فَخْرِي تَجَاهُ كُلِّ الْبَشَرِ .

عَلَى نَسِيحِ فَخْرِ الْإِنْسَانِ

يُظْهِرُ الْفَنُّ الْعَظِيمُ الَّذِي يُبْدِعُهُ الْفَنَّانُ

وَيُعْمِغُمُ الْحَكِيمُ وَهُوَ يُغْنِي بِمَسْبَحَتِهِ

لا .. لا .. لا ..

لَا زُمْرَدٌ، وَلَا يَاقُوتٌ، وَلَا نُورٌ، وَلَا وَرْدَةٌ

وَلَا أَنْتَ . . . وَلَا أَنَا

مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى ، ذَلِكَ الَّذِي هُوَ لِأَنْهَائِيَّ

قَدْ تَأَمَّلَ مِنْ دَاخِلِ حُدُودِ الْإِنْسَانِ

إِنَّهُ هُوَ الَّذِي يُسَمَّى (الْأَنَا)

وَفِي كَهْفِ هَذَا (الْأَنَا) اتَّحَدَّثَ الظُّلْمَةُ

وَالنُّورُ

وَبَدَأَ شَكْلًا . فَاسْتَيْقَظَ (رَأَى)

وَعِنْدَيْدٍ ، لَا أُدْرِي مَتَى ، وَبِدَهْشَةٍ (مَايَا)

ازْدَهَرَتْ (اللا) الَّتِي فِي الْخُطُوطِ

والألوانِ
وفي الفرحِ والألمِ
في (نعم)
لأُسمُ ذلكَ فلسفةً
في مَصْنَعِ (الأنا) الكَوْنِي.
وبالرَّيشَةِ في اليَدِ، والألوانِ فَوْقَ المِرْسَمِ
وَجَدْتُ الفَرْحَ
فَقَالَ المُتَقَفُّ
إنَّ القَمَرَ القَدِيمَ بِابْتِسَامَةِ خَبِيثَةِ مَاكِرَةٍ
وَكَرَسُولِ لِلْمَوْتِ، سَيَتَّجِهَ لِلاَحْتِكَاءِ
بِالأَرْضِ
وَفِي يَوْمٍ مِنْ الأَيَّامِ سَتَشْعُرُ البِحَارُ
وَالجِبَالُ، بِجَاذِبِيَّتِهِ العِمْلَاقَةِ الأَخِيرَةِ
وعلى الأرضِ، وَفِي الكِتَابِ الكَبِيرِ للزَّمَنِ
سَتَمْلَأُ الصَّفْحَةُ الجَدِيدَةُ بِرَقْمِ صِفْرِ

كَبِير

يَبْتَلِعُ الرِّيحَ وَالْمَخْسَارَةَ .

وَأَعْمَالُ الْإِنْسَانِ تَفْقِدُ كُلَّ حُجَّةٍ لِلْخُلُودِ

وَخَبِيرٌ نَيْلَةٌ لَا حَدَّ لَهَا سَيِّمُحُو التَّارِيخَ

وَعَيْنَا الْإِنْسَانَ وَهُوَ يَحْتَضِرُ

سَتُلْغِيَانِ أَلْوَانَ الْكَوْنِ .

وَعَقْلُ الْإِنْسَانِ وَهُوَ يَحْتَضِرُ

سَيُجَفِّفُ (الرَّازَا)

وَضِلَالُ الْعُنْفِ سَتَهْزُ السَّمَاوَاتِ

وَلَنْ يَتَأَلَّقَ بَعْدَهَا أَيُّ نُورٍ

وَتَرْغَبُ الْأَنَامِلُ فِي الْعَرْفِ

وَلَكِنْ لَنْ تَتَوَلَّدَ الْأَنْعَامُ

فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي يَتَجَرَّدُ فِيهِ

الْخَالِقُ مِنَ الشَّاعِرِيَّةِ

سَيَجْلِسُ غَارِقًا فِي التَّفَكِيرِ

وحيداً في السماء
دون زُرقة الوجود اللأشخصي
في هذا الكون اللامحدود
وعالم بعد عالم
لن يكون هناك مكان يردد صدَى
هذه الكلمات
أنت جميل
أنا أجيبك؟
وغرق الصانع من جديد في تأملٍ لا حد له
فاركأ حبات مسبحته، وهو يُغمغم
بهذا الدعاء
تكلّم أو ، تكلّم
قل . . . أنت جميل
قل . . . إني أجيبك؟

* * *

أنا (٢)

أَتَسَاءَلَ إِذَا كُنْتُ أَعْرِفُهُ
فِي حِدِيثِهِ صَوْتِي
وَفِي حَرَكَتِهِ وَجُودِي
وَمَهَارَتُهُ فِي مَلَامِحِي
وَالْحَانَةِ فِي أَغَانِي
فِي الْفَرَحِ وَالْحُزْنِ
أَفَكَّرَ أَنَّهُ مَغْلُولٌ فِي دَاخِلِي
مَشْدُودٌ بِالذَّمُوعِ وَالضَّحَكَاتِ
بِالْعَمَلِ وَاللَّعَبِ
وَأَفَكَّرَ أَنَّهُ ذَاتِي الْحَقِيقِيَّةِ
الَّتِي سَتَبُغُ النَّهَائِيَّةَ بِمَوْتِي
فَلِمَاذَا إِذْنِ أَشْعُرُ بِهِ

في تيارٍ من الفرحِ
عند رؤيةٍ وملازمةٍ محبوبتي؟
إني أجدُ هذا (الأنا) أبعدَ من ذاتهِ
في ضيفِ البحرِ الرضاءِ
إذن فأنا أعرفُ
أن هذا (الأنا) ليسَ مأسوراً
داخلَ حدوديِ
إني أجده حين أضيع نفسي
أبعدَ من حدودِ الزمنِ والمكانِ
عبرَ الأحقابِ
وصلّت إلي معرفةً (أناه) اللامعة
في حياة الباحثِ
وفي صوتِ الشاعرِ
ومن العُيُومِ القايمةِ تهبطُ الأمطارُ
إني أجلسُ وأفكرُ

حَامِلاً أَشْكَالاً عَدِيدَةً وَأَسْمَاءَ عَدِيدَةً
أَصِيلٌ مُجْتَازاً كَنْزَ الْعَدِيدِ مِنْ
الْمَوَالِيدِ وَالْمَوْتَى
إِلَى الْأَسْمَى الْمُوَحَّدِ، الْكَامِلِ فِي ذَاتِهِ
مُعَانِقاً الْمَاضِي وَالْحَاضِرَ
السَّاكِنَ فِي الْإِنْسَانِ
وَفِي دَاخِلِهِ أَجْدَ نَفْسِي
« الْأَنَا » الَّتِي تَبْلُغُ كُلَّ مَكَانٍ

* * *

لوحة

لَقَدْ رَسَمْتُكَ بِرَيْشِي
مَلْمَحًا بَعْدَ آخِرِ
وَمِنْ أَعْمَاقِ اللَّأَصَوْتِي
قَدْ قَدَمْتُكَ إِلَى هَذَا الْعَالَمِ
الَّذِي يَتَقَاسَمُهُ الْمَدْحُ وَالْهَجَاءُ
وَبِسَبَبِ هَذَا التَّطَاوُلِ الَّذِي أَقْدَمْتُ عَلَيْهِ .
سَأَلُونِي :

هَلْ تَحْمِلُ فِي نَفْسِكَ خَبِيَّةً ضِدَّ خَالِقِكَ ؟
وَطَوَالَ الْوَقْتِ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ غَيْرَ ظَاهِرٍ
كَانَتْ أَشْكَالُ الْعَالَمِ الْعَدِيدَةُ تَرْقُصُ
فِي صَحْبٍ ، عَلَى إِيقَاعِ الْخَلْقِ وَالتَّدْمِيرِ
وَكُنْتَ تَنْتَظِرُ فِي الْفَرَاغِ ، فَآنَا

لِيُصْنِعِي إِلَى نَحِيْبِكَ الصَّامِتِ
وَلِيُؤْمِسِكَ بِكَ
فِي حُدُودِ الثُّورِ وَالظَّلِّ
وَالْأَبْيَضِ وَالْأَسْوَدِ .
كُنْتُ أَعْبُرُ الطَّرِيقَ
حِينَ نَفَذَ نَدَاؤُكَ فِي الْفَضَاءِ الْخَالِيِ
لِللَّأَوْجُودِ
وَبِصْمَتِ لَمَسْتِ جَبِيْنِي
كَحُلْمِ ضَبَّابِي
وَمِنْ بَحْرِ اللَّاشْكَلِ
حَمَلْتُكَ إِلَى عَالَمِ الْخُطُوطِ
أَهَذَا الْعَنَاءُ الَّذِي
فِي قَلْبِ الشُّكْلِ ؟
وَلِعَيْبِ فِي الْجَمَالِ
يَنْبَغِي أَنْ يَظَلَّ عَمَلِي مُضْطَرِبًا

دون أن يُشرفُ ويُكرِّمَ بِالْقَدَرِ الكَافِي
حَقِيقَةَ الوُجُودِ؟
فَلِيَكُنْ

إِن خَطَأَ فِي الشَّكْلِ
لنَ يَظَلَّ قَائِمًا إِلَى الأَبَدِ
وَلَكِنَّهُ سَوَفَ يَخْبُو بِسَبَبِ ثِقَلِهِ
وَسَتَكُونُ مِن جَدِيدٍ حُرًّا
ظَاهِرًا مِن بَحْرِ اللَّاشَكْلِ
الذِّي لَا يُمَكِّنُ التَّعْبِيرُ عَنْهُ

إدانة

لَا تُدِنُ أَحَدًا

إِنِ الْمَكَانَ الَّذِي تَعِيشُ فِيهِ

لَيْسَ سِوَى زَاوِيَةٍ صَغِيرَةٍ مِنْ هَذِهِ الْأَرْضِ

مَهْمَا بَلَغَتْ عَيْنَاكَ مِنَ النَّظَرِ الْبَعِيدِ

فَهُمَا لَا تُحِيطَانِ إِلَّا بِالْقَلِيلِ

وإِلَى الْقَلِيلِ الَّذِي تُصْنَعِي إِلَيْهِ

أَضِيفُ صَوْتُكَ

وإِنَّكَ لَتَحْفَظُ جَانِبًا وَبِعَنَائِيهِ دَقِيقَةً

الْخَيْرِ وَالشَّرِّ وَالْأَسْوَدَ وَالْأَبْيَضَ

وَلَكِنْ عَبَثًا تَرَسِمُ خَطًّا

لِكَيْ تُشِيرَ إِلَى الْحُدُودِ

إِذَا كَانَ هُنَاكَ نَعْمٌ خَفِيٌّ فِي نَفْسِكَ

أَيَقِظُهُ بِمُجَرَّدِ عُبُورِكَ الطَّرِيقِ
فَلَيْسَ فِي الْغِنَاءِ خِصَامٌ
وَلَا دَعْوَةٌ إِلَى الْعَمَلِ
مَنْ كَانَ رَاغِبًا فِيهِ تَجَاوَبَ مَعَهُ
وَمَنْ لَمْ يَرْعَبْ فِيهِ فَإِنَّهُ يُعَدِّي عَنْهُ
مَا يَهُمُّ أَنْ يَكُونَ بَعْضُ النَّاسِ أَحْيَارًا
وَبَعْضُهُمْ أَشْرَارًا؟
إِنَّهُمْ جَمِيعًا مُسَافِرُونَ عَلَى الطَّرِيقِ نَفْسِيهَا
لَا تُدِينُ
أَوَاهِ إِنَّ الزَّمَانَ لَيَطِيرُ
وَالجِدَالَ عَبَثٌ
فَانظُرْ إِلَى الزُّهُورِ الَّتِي تَتَفَتَّحُ عِنْدَ حَوَافِي الْغَابِ
إِنَّهَا تَحْمِلُ رِسَالَةً مِنَ السَّمَاءِ
لِأَنَّ السَّمَاءَ صَدِيقَةُ الْأَرْضِ
وَفِي أَمْطَارِ يُولِيُو

يُغَطِّي العُشْبُ الأَرْضَ بِالخُضْرَةِ
وَتَمَلَأُ كَأْسَهَا حَتَّى الحَافَّةِ
نَاسِيَةً إِيَّاكَ
فَلتَمَلَأُ قَلْبَكَ بِالبَهْجَةِ السَّادِجَةِ
أَيْهَا المُسَافِرُ
وَأَنْثُرِ بِحُرِّيَّةٍ، وَعَلَى طُولِ الطَّرِيقِ ،
الكَنْزَ الَّذِي تَجْمَعُهُ وَأَنْتِ تُوَاصِلُ المَسِيرَ

المجهول

في ميدان السوقِ التي تَعِجُّ بالنَّاسِ
أرى آلافَ الوجوهِ
آلافَ القصصِ ، تأتي وتذهب
في ضوءِ النهارِ
وفي ظلالِ الليلِ
وعبرَ كلِّ الأزمانِ المُقبِلةِ
وما مِن أحدٍ يَسْتَطِيعُ أن يعرف
قِصَّتَهُم الكَامِلَةَ
وفي أعماقِ مُناقشاتِهِم العَالِيَةِ
فإنَّ تَرْتِرتَهُم التي لا تَهْدَأُ
تتناولُ عَمَلِ الخَلْقِ الرَّحِيبِ المُتَنَوِّعِ
نِصْفَ مَسِيٍّ ، ونِصْفَ مَذْكَورِ

لَا يُسْمَعُ صَوْتٌ، وَلَا يُشَاهَدُ نُورٌ
وَمِنْ مَاضٍ سَحِيقٍ قِصِيٍّ، هَذِهِ الْأَصْوَاتُ
الْخَفِيَّةُ

هَذِهِ الْقِصَصُ الَّتِي لَمْ تُسْمَعْ مِنْ قَبْلِ عَدِيدٍ مِنَ الْبَشَرِ
تَتَدَفَّقُ كَالْمُجْرَى الْأَرْضِيِّ
إِلَى مُحِيطِ الْمَوْتِ

مَا الَّذِي حَدَّثَ لَهَا؟

مَا هُوَ الْهَدَفُ؟

أَيُّهَا الْمَحْبُوبُ؟

فِي سَمَاعِي لَكَ، وَرُؤْيَايَ وَلَمْسِي لَكَ

فِي الْبَشَرِ الْقَلِيلِ الَّذِي أَعْرِفُهُ لَا يُمَثِّلُ شَيْئاً

إِذَا مَا قُورِنَ بِرَحَابَةِ السِّرِّ

الَّذِي لَمْ يُسْمَعْ وَلَمْ يُرَ

فَالَّذِي انْغَلَقَ عَلَى نَفْسِهِ فِي اطمِئْتَانٍ وَأَمْنٍ

مَنْ يَنْتَظِرُ؟

وَمِفْتَاحِ تِلْكَ الْعُرْقَةِ إِنْ لَمْ يُكُنْ عِنْدَكَ
فَفِي يَدِ مَنْ يُوجَدُ؟
تَعْرِفُ الْمَجْهُولَ الْأَعْظَمَ
وَالْمَجْهُولَ الْخَفِيِّ فِي قُلُوبِنَا
وَأَيُّ حُبٍّ يَتَجَاوَزُهُ حُبُّكَ
وَالَّذِي يَرْفَعُ كُلُّ غَامِضٍ مُبْهَمٍ
حِجَابَهُ
أَمَامَ نَظَرَتِهِ الْخَيْرِةَ

انسجام

لَنْ أُلَومَكَ
كُلُّ الْعِجْرَاحِ ، وَكُلُّ الْأَخْطَاءِ الَّتِي تَجْرُهَا
عَلَيْنَا حَيَاتُنَا
وَتَجْعَلُ مِنْكَ مُتَأَلِّمًا
تَأْتِي مِنَ الْقَدْرِ الْقَاسِي
إِنِّي أَعْرِفُ أَنَّكَ غَيْرُ بَعِيدٍ
فِي السَّمَاءِ الْبَعِيدَةِ
وَلَكِنَّكَ تَسْكُنُ فِيَّ
وَتَحْمِلُ ثِقَلِي لَيْلًا وَنَهَارًا
مُجْتَازًا حَاجِزَنَا الَّذِي لَا يُمَكِّنُ اجْتِيَازَهُ
دَعُ سَبِيلِ الْأَخْذِ وَالْعَطَاءِ يَتَدَفَّقُ
وَأَنْ أَتَمَكَّنَ

مِنْ أَنْ أَحْفَفَ بِتَعَبِي هَذَا الْجَمْلَ
وَأَنْ أَجِلَّ الْعُقْدَ الْمُتَشَابِكَةَ لِلْعُبُودِيَّةِ .
أَنْ تَنْسَانِي وَتَقْطَعَ هَذَا الْعَالَمَ الرَّحِيبَ
بِأَلَا خِصَامٍ بِأَلَا إِجْبَارٍ
مَا نِعَا كُلَّ قَلْقٍ
فَسَوْفَ نُؤَلِّفُ مَعًا لَحْنًا
يَرْتَفِعُ حَتَّى السَّمَاءِ

القادم الجديد

جِئْتُ مِنَ الْأَقْصَى الْبَعِيدَةِ
مِنْ أَعْمَاقِ سَيُولِ الزَّمَنِ
وَحِينَ بَلَغْتُ ضَيْفَانَ عَصْرِكُمْ
لَمْ يَكُنْ لِي رِفَاقٌ
لَأَنَّهُمْ رَسَوْا فِي مَرَايِي أُخْرَى .
الْأَفْرَاحُ الْقَلِيلَةُ الَّتِي عَرَفْتَهَا ،
وَعَطَايَا قَلْبِي
وَزَعْتُهَا كُلَّهَا
وَأَنَا أَهْبِطُ عَلَى طُولِ السَّبِيلِ
فِي عَصْرِي
وَحِينَ وَضَعْتُ قَدَمِي فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ
أَخَذْتُ مَطَالِبِي تَزْدَادُ

خُطْوَةٌ خُطْوَةٌ
عَبْرَ الْعَمَلِ وَالتَّفْكِيرِ،
اللُّغَةِ وَالْحَرَكَةِ ،
الْأَخْذِ وَالْعَطَاءِ لِلْحَيَاةِ الْيَوْمِيَّةِ
فِي الْإِيْتِسَامِ وَاللَّعِبِ .
أَيُّ أَنْ أُسْتَمِرَّ بِطَرِيقَةٍ مَا فِي الْحُضُورِ الْعَادِيِّ ،
وَأَنْ أَمْلَأَ بِطَرِيقَةٍ مَا مَشَهَدَ الْحَيَاةِ ،
كَانَ هَذَا يَكْفِينِي .
وَالْيَوْمَ فِي عَصْرِكُمْ هَذَا أَجِدُ نَفْسِي غَرِيباً
وَلَعُنْتُ تَجِدُ لَهَا مَعْنَى جَدِيداً
عَلَى شِفَاهِكُمْ .
وَالْفُصُولُ تَغَيَّرَتْ
حَتَّى الرِّيَاحُ اضْطَرَّتْ وَارْتَبَكَتْ .
تَطْفَحُ بَعْضُ الْخِلَافَاتِ الْبَسِيطَةِ
وَتَصْطَلِمُ بِالضَّحِكِ .

المشاعرُ، الآمالُ، الرغباتُ
التي تُعطي طعمًا للحياة
كُلُّها تغيَّرت .
إن الصداقة التي وهبُّها في عصري
رغمَ ضآلِها قيمتها
ما تزالُ تربطُ الإنسانَ بالإنسان
وتتركُ طابعها على العصرِ .
صداقتي هذه لا يُمكنُ أن تُحسبَ
بمقاييسِ عصرِكُم
إن الزهور التي تُزِينُ موائدَ هذه الأيامِ
لا تنمو في حديقتي ،
وليس في وسعي أن أدفعَ أجرَ الزاويةِ
التي أشغلُها من قصرِكُم المُنيفِ .
إذنَ عليَّ أن أعطي الكثيرَ وبأقصى جُرأةٍ
ولكنَ هذه الهبة لا تُقدِّمُ لإرضاءِ مطالبِ

الحَاضِر

فَإِذَا لَمْ تَكُنْ لِتُؤَافِقَ ذَوْقَكُمْ
فَإِنْ قِيمَتَهَا يُمَكِّنُ أَنْ تُوجَّهَ إِلَى الْمَسْتَقْبَلِ
وَمَعَ ذَلِكَ ، فِإِنِّي وَبِكُلِّ مَا أَمْلِكُ .
لَا يَتَّبِعِي فَقَطْ أَنْ أَسَدَّدَ دُيُونِي نَحْوَ الْحَاضِرِ
وَلَكِنْ أَرْجُو أَنْ يَكُونَ هَذَا الْحَاضِرِ مَدِينًا لِي
إِنْ مَا هُوَ أَبْعَدُ مِنَ الرَّبِّحِ وَالْحَسَارَةِ
وَمَا هُوَ أَعْظَمُ مِنَ الْفَرَحِ الْخَالِصِ أَوْ الْأَلَمِ الْمَوْجِعِ
هُوَ قَدْرَتِي عَلَى أَنْ أَهَبَ كُلَّ شَيْءٍ
دُونَ أَنْ أَزِنَ بِكَفَّتِي مِيزَانَ
الْمَدْحِ أَوْ الذَّمِّ .

الجرّة

يَا إِلَهِي ، إِنَّكَ خَلِيقُ بِالْعِبَادَةِ
يَا سَيِّدَ حَيَاتِي
أَنْتَ تَعْرِفُ أَنْ طَائِفَتِي وَضِيعَةَ
وَرَعْمَ أَنَّكَ طَرَقْتَ جَمِيعَ الْأَبْوَابِ الْأُخْرَى
فَلِمَاذَا جِئْتَ إِلَيَّ بِالذَّاتِ؟
كُنْتُ أَحْمِلُ جَرَّتِي ، تَحْتَ شَمْسِ الزَّوَالِ
الْلاَّفِحَةِ
وَكُنْتُ أُسْرِعُ الْخُطَى نَحْوَ بَيْتِي
فِي ذَلِكَ الدَّرَبِ الْمُتَوِي
وطلَبْتَ مِنِّي مَاءً :
إِنِّي امْرَأَةٌ مِنْ طَائِفَةٍ وَضِيعَةَ
كَيْفَ أَجْرُؤُ عَلَى تَلْوِيثِكَ؟

وَسَكَبْتُ الْجِرَّةَ
وَلَمَسْتُ قَدَمَيْكَ بِجِسِينِي
وَقُلْتُ: لَا تَجْعَلْنِي مُذْنِبَةً
وَحَيْثُ نَظَرْتَ إِلَيَّ بِاسِمًا قَائِلًا:
آه، أَنْتِ يَا مَنْ صُنِعَتْ مِنَ الْأَرْضِ
تَمَامًا، مِثْلَ مَا الْكُرَّةُ الْأَرْضِيَّةُ مُقَدَّسَةٌ
وَمَعْمُورَةٌ بِالْأَخْضَرِ النَّضِيرِ
هَكَذَا أَنْتِ يَتَحَقَّقُ فِيكَ عَرْشُ (لَاكْشَمِي).
لَيْسَ لِلْجَمَالِ طَائِفَةٌ
إِنَّهُ حُرٌّ
إِنَّ الْفَجَرَ الْوَرْدِي يَكْسُوهُ بِجَوَاهِرِهِ
وَلَكِ يَنْسِجُ اللَّيْلُ أَكَالِيلَ النُّجُومِ
اصْغِي إِلَيَّ كَلِمَاتِي
إِنَّ زَهْرَةَ اللَّوْتَسِ الْمُتَعَدِّدَةَ الْبَتَلَاتِ
وَالَّتِي تَنْفَتِّحُ

لَيْسَتْ لَهَا طَائِفَةٌ
هَلْ هِيَ مُدَنَّسَةٌ تِلْكَ الَّتِي يَتَأَلَّقُ
فَوْقَهَا نَعِيمَ السَّمَاوَاتِ؟
حَيْثُ يُفْرِحُ اللَّهُ بِخَلْقِهِ
تَنْسَكِبُ هُنَاكَ عَلَى الدَّوَامِ
مُبَارَكَةُ الْكَوْنِ.
وَحِينَ نَطَقَ بِهَذِهِ الْكَلِمَاتِ الْمَلِيئَةِ بِالْمَاءِ
وَبِصَوْتِ الْغَيْمَةِ الْمُدَوِّيِّ
اِخْتَفَى .
وَمُنْذُ ذَلِكَ الْحِينِ
وَفِي كُلِّ يَوْمٍ مَعَ ضَوْءِ الْفَجْرِ
أَرْسُمُ وَأَزِينُ بَعْدَةَ أَلْوَانِ
هَذَا الْوَعَاءِ الرَّهِيْفِ
لِكَيْ أُخْفِيَ انْتِمَاءَهُ الْأَرْضِيِّ
أَهْ، أَيُّهَا الْمَتَسَامِي فِي عُلَاهِ

أَيُّمَكِنُ أَنْ تُرْفَعَ إِلَى أَعْتَابِكَ
الْهَدِيَّةُ الْمُقَدَّسَةُ لِلْجَمَالِ
مِنْ تِلْكَ الَّتِي شَمَلْتَهَا بِقَبُولِكَ
حِينَ نَزَلْتَ عَنْ عَرْشِكَ السَّامِيِّ؟
إِنْ عَقْلِي لَمْ حُجُبْ
بِحِجَابِ عَالَمِنَا هَذَا الْفَانِي
وَهُوَ يَرَانِي عَبْرَ إِشَارَاتٍ
فِي النُّورِ وَفِي الظُّلْمَةِ
مُفْتَرِضًا وَمُجَرَّبًا
وَأَضِيعًا كُلَّ هَذَا مَعًا.
آمَالَهُ، وَظَمَاءَهُ
وَمَشَارِيعَهُ الْخَاصَّةَ
وَأَحْيَانًا، إِذَا تَحَسَّنَتْ أَحْوَالِي
يَرَانِي مُتَجَدِّدًا
الشُّكُوكُ قَامَتْ عَلَى الدَّوَامِ.

وَمَا أَكْثَرَ أَيَّامَ التِّي مَرَّتْ
عِنْدَ ضِيْفَافِ هَذَا الْبَيْتِ .
إِنْ عَالَمِنَا لِيُحِبُّهُ
وَيَلْهُو مَعَهُ
وَإِذَا انْتَهَى كُلُّ ذَلِكَ
تَبَاعَدَ عَنْهُ
وَإِنِّي لِأَتَسَاءَلُ
إِذَا كَانَ فِي الْعَالَمِ الثَّانِي
وَبِعَيْنِيهِ الْمُقَدَّسَتَيْنِ
الْمُتَحَرَّرَتَيْنِ مِنْ الْخِدَاعِ
سِيرَانِي؟
وَهَلْ سَأَكُونُ هُنَاكَ أَنَا نَفْسِي؟
وَبِقَدْرٍ مَا عَرَفَنِي حَتَّى الْآنَ
فَلَسْتُ وَاضِحَةً مَعَهُ كُلِّ الْوُضُوحِ
كَمَا أَنَّهُ هُوَ أَيْضاً لَيْسَ وَاضِحاً مَعِي كُلِّ الْوُضُوحِ

أَيُّهَا الْإِنْسَانُ
إِنَّ النُّورَ الْكَامِلَ لَيْسَ شَيْئاً سِوَى الدَّمَارِ
إِنَّ مَهَارَةَ يَدِ الْخَالِقِ
تَلْهُو بِالِاخْتِيفَاءِ
وَتَبْحَثُ فِي النُّورِ وَالظَّلَالِ
وَفِي تِلْكَ (الْمَايَا) أَقْمَنَا مَعاً
قَاعَةَ الْعَابِنَا
وَحُدُوعَنَا بِوَهْمِ غَيْرِ الْكَامِلِ
إِنَّ الْكَامِلَ فَقَطْ هُوَ الْقَاسِي
الْمَكْشُوفُ، الصَّامِتُ . .

إِنِّي اسْتَيْقِظُ مِنْ جَدِيدِ
وَاللَّيْلِ يَنْهَارُ
وَالكَوْنُ يُفْتَحُ أَفْوَافَ زُهُورِهِ
تِلْكَ مُعْجِزَةٌ لَا حَدَّ لَهَا

قَارَاتُ قَدِ غَرِقَتْ
وَنُجُومٌ قَدِ خَبَّتْ
وَعُهُودٌ بَلَغَتْ نِهَائِيهَا
وَأَبْطَالٌ مِنْ الْفَاتِحِينَ لِهَذَا الْعَالَمِ
قَدِ تَوَارَوْا فِي الْأَسَاطِيرِ
وَدُؤُلٌ رَفَعَتْ أَعْمِدَةَ نَصْرِهَا
فِي الْوَحْلِ الْمَنْقُوعِ بِالْدَمِ
لِكَيْ تُرْضِيَ الْجُوعَ التُّرَابِيَّ الَّذِي لَا يَعْرِفُ
الشَّبَعِ
وَفِي وَسْطِ دِمَاءِ هَذَا الْخَرَابِ
الكَبِيرِ
يَتَلَقَّى جَبِينِي
مُبَارَكَةً أَوْ أَيْلٍ أَشِعَّةِ الْفَجْرِ الْوَالِدِ
فِي خِتَامِ لَيْلَةٍ أُخْرَى .
تِلْكَ مُعْجِزَةٌ لَا حَدَّ لَهَا

وَالْيَوْمَ
 وَفِي وَسَطِ مَوَكِبِ النُّجُومِ
 أَحْسَبُ أَنَّنِي شَيْءٌ وَاحِدٌ
 مَعَ الْهَمَلَايَا
 وَشَيْءٌ وَاحِدٌ مَعَ الْبَسْتَارِيشِيِّ
 وَأَجِدُنِي هُنَاكَ
 حَيْثُ تَرُقُصُ الْأَمْوَاجُ
 لِضِحْكَةِ (رودرا) الرهيبِ
 أَيُّهَا الْأَحْقَابُ
 الَّتِي كُنْتِ شَاهِدًا عَلَى قِيَامِ
 وَسُقُوطِ التَّيْجَانِ وَالصَّوْلَجَانَاتِ
 لَقَدْ تَرَكْتِ شَيْئًا مِنْ طَابِعِهِمْ
 فِي دَوَائِرِ هَذِهِ الشَّجَرَةِ الْعَرِيقَةِ
 وَأَشْعُرُ أَنَّنِي قَدْ خُصِّصْتُ بِمِيزَةِ
 الْجُلُوسِ تَحْتَ ظِلِّهَا

لِيَوْمٍ آخِرٍ أَيضًا
وَتِلْكَ مُعْجِزَةٌ لَّا حَدَّ لَهَا

* * *

الباب

أَيُّهَا الْبَابُ
ابْقِ دَوْمًا مَفْتُوحًا
وَلَكِنَّ عَيُونَ السَّمَاءِ مُغْمَضَةٌ
وَهِيَ لَا تَعْرِفُ مَا يُوجَدُ بِالدَّخِيلِ
وَتَخْشَى الدُّخُولَ
أَيُّهَا الْبَابُ .
لَيْلًا وَنَهَارًا
نِدَاؤُكَ الْمُهَيْبُ لَنْ يَكُونَ صَامِتًا
أَنْتَ تَنْفَتِحُ لِلشَّمْسِ الَّتِي تَبْزُغُ
وَتَنْفَتِحُ لِنُجُومِ اللَّيْلِ
أَيُّهَا الْبَابُ
مِنَ الْبِذْرَةِ إِلَى الزَّهْرَةِ

وَمِنْ الزَّهْرَةِ إِلَى الثَّمَرَةِ
وَمِنْ حِقْبَةٍ إِلَى حِقْبَةٍ
وَمِنْ الْمَوْتِ إِلَى الْخُلُودِ
أَنْتَ تَفْتَحُ الطَّرِيقَ
أَيُّهَا الْبَابُ
إِنَّ الْحَيَاةَ تَعْبُرُ بَوَابَ الْمَوْتِ
وَفِي لَيْلَةِ الْيَأْسِ
وَعَلَى طُولِ طَرِيقِ الْإِنْعِتَاقِ
سَيَتَرَدَّدُ طَوْعاً أَمْرِكَ
نِدَاءُ الدَّعْوَةِ
(لَا تَخَافُوا)

أَيُّهَا الصَّدِيقُ، إِنِّي أَعْرِفُكَ
وَلَكِنْ ذَلِكَ لَيْسَ هُوَ الْحَقِيقَةَ الْكَامِلَةَ
إِنِّي أَعْرِفُ الْكَثِيرَ مِنَ الْحَيَاةِ الْيَوْمِيَّةِ
وَأَعْرِفُ مَنْ هُوَ فِي الْعَمَلِ أَوْ الرَّاحَةِ

يَبْدُو فِي مَلَامِحِهِ الصَّافِيَّةِ

دَاخِلَ حُدُودِهِ

إِنِّي أَتَعَامَلُ مَعَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الْيَوْمِيَّةِ

وَأَتَقَاضَى مَا هُوَ مُقَرَّرٌ لِي

وَلَا شَيْءٍ غَيْرَ ذَلِكَ .

وَفِي خِصَمِّ الْمُحِيطَاتِ

بَرَزْتَ مِنَ الْأَعْمَاقِ

وَدَخَلْتَ حَيَاتِي

فَحَمَلْتَ إِلَيْهَا الْمُبْهَمَ وَالغَامِضَ

الَّذِي يُحِيطُ بِكَ

كَمَا تُحِيطُ الْغَيْمَةُ بِالنَّجْمَةِ

وَقَدْ جَعَلَ مِنْكَ الْفَنَّانُ

بِأَصَابِعِهِ الْمَاهِرَةِ

شَيْئًا قَرِيبًا

وَحِينَ تَكُونُ بَعِيدًا فَقَطْ

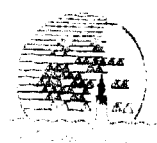
يُمْكِنُ لِلرَّاحَةِ أَنْ تَكُونَ صَمْتًا .
إِنَّ الْجَمَالَ الَّذِي يَحْمِي الْهَيْكَلَ الدَّاخِلِيَّ
يَجْعَلُنِي بَعِيدًا عَنْكَ بَعْدًا كَبِيرًا

* * *

أمل

لَقَدْ حَمَلْتُ فِي نَفْسِي طَوِيلًا
الْأَمَلَ فِي أَنْ أَعِيشَ وَحْدِي
مَعَ نَفْسِي
فِي زَاوِيَةٍ مُنْعَزَلَةٍ مِنْ هَذِهِ الْأَرْضِ
لَا ثَرْوَةَ وَلَا جَاهُ
وَلَكِنْ كُوخٌ صَغِيرٌ فَحَسَبُ
هَذَا مَا أَمَلْتُهُ
الظَّلَالُ النَّدِيَّةُ لِلْأَشْجَارِ
الْمَجْرَى الصَّامِتُ لِلنَّهْرِ
نَجْمَةُ الْمَسَاءِ الْمُتَأَلِّقَةُ عِنْدَ الْغُرُوبِ
أَرِيحُ أَزْهَارَ الْكَامِيلِي الْمُتَصَاعِدِ إِلَى النَّافِذَةِ
أَوَّلِ أَنْوَارِ الْفَجْرِ الَّتِي تُشْبِهُ خَيْوُطَ الْمَاءِ

بِكُلِّ هَذَا كُنْتُ أَطْمَحُ أَنْ أَمْلَأَ أَيَّامِي
 بِالذُّمُوعِ وَالضَّحَكَاتِ
 لَا ثُرُوءَ وَلَا جَاهُ
 وَلَكِنْ مُجَرَّدُ كُوحٍ صَغِيرٍ
 هَذَا مَا أَمَلْتُهُ .
 لَقَدْ حَمَلْتُ طَوِيلًا الْأَمَلَ
 بِأَنْ تَجِدَ تَأْمَلَاتُ قَلْبِي
 صَوْتَهَا الْكَامِلَ
 لَا ثُرُوءَ وَلَا جَاهُ
 وَلَكِنْ مُجَرَّدُ تَعْبِيرِي الْخَاصِ
 هَذَا مَا أَمَلْتُهُ
 إِنَّ شَمْسَ الْغُرُوبِ تَرَسُّمٌ فَوْقَ الْغُيُومِ
 صُورَةَ تَحَقُّقِهَا
 مُمَثَّلَةً فِي أَلْوَانِ الطِّيفِ
 بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ سَأَخْلُقُ (مَآيَا)



بالظلال والأصواءِ
في عالمِ الأحلامِ
بِكُلِّ هَذَا سَامِلاً أَيَّامِي
بالدُمُوعِ والضَّحَكَاتِ
لا ثُرُوءَ ولا جَاهُ
مُجَرَّدَ تَفْتِيحِ أَفْكَارِي
وهي ثَمْرَةٌ تَأْمَلَاتِي
هَذَا مَا رَجَوْتُهُ وَأَمَلْتُهُ .

* * *

مُنْذُ زَمَنٍ بَعِيدٍ
وَهَبْتِكَ قَلْبِي
ولكن دُمُوعَكَ الرَّقِيقَةَ لَمْ تُقَدِّسْهُ
وَلَمْ يُنْعِشْهُ نَدَى الْعَوَاطِفِ اللَّطِيفَةِ
لَقَدْ ذَبَلْتَ الزُّهُورُ
وَلَيْسَ هُنَاكَ إِكْلِيلُ يُزِينُ عُنُقَكَ .

يَبْدُو لِي أَنِّي أَرَى اللُّطْفَ
يَتَأَلَّقُ فِي عَيْنَيْكَ .

وَلَكِنَّهُ تَلَأَشَى مِثْلَ الزُّهُورِ الذَّابِلَةِ
فَإِذَا حَدَّثَ وَأَنْتَ تَطَأُ هَذِهِ الأَرْضَ
أَنْ وَقَعَتْ بِذُرَّةٍ مِنْ يَدَيْكَ

فَإِنَّهَا سَتَعُودُ إِلَيْكَ
كَحَيَاةٍ جَدِيدَةٍ

كَثْمَرَةٍ أَبَدِيَّةٍ

عِنْدَمَا يَرْحَلُ الرَّبِيعُ
فَإِنَّهُ يَتْرُكُ بَاسِمًا

لَمَسَةً الزُّهُورِ عَلَى حَافَةِ الغَابَةِ .
وَهَكَذَا

فَإِنَّكَ حِينَ تَرْحَلِينَ
سَتُزْهِرُ ابْتِسَامَةً

وَيُإِيقَاعِ رَاقِصٍ تَسْقُطُ زَهْرَةٌ

سَيَنْزِلُ قَارِبُكَ وَيَسَابُ فِي الْيَمِّ
وَأَنَا الْمَتْرُوكُ الْمُتَأَخَّرُ
سَأُحَدِّقُ فِي الْبَعِيدِ
وَحِينَ تَسْكُبُ الشَّمْسُ الْغَارِبَةَ
أَشِعَّتْهَا الذَّهَبِيَّةُ
فَوْقَ شِرَاعِكَ
فَإِنَّ الظَّلَامَ يَسُودُ قَلْبَ اللَّيْلِ

* * *

لَا تُوقِظُهُ ، لَا تُوقِظُهُ
إِنْ هَزِيمَتَهُ تَعُودُ إِلَى الْقَدَرِ الْقَاسِيِ
وَهُوَ يَتَطَلَّعُ إِلَى أَنْ يُغْرِقَ جَمِيعَ الرِّغْبَاتِ
فِي هَاوِيَةِ سَحِيقَةِ
أَيَّمِكُنُ أَنْ يَتَلَأْسَى ثِقْلُ التَّنْهَدِ الْفَادِحِ
وَيَبْلُغَ نَوْمًا عَمِيقًا فِي سَوَادِ الْحَبْرِ الْأَسْوَدِ
مَاحِيًا مِنْ صَفْحَةِ الذَّاكِرَةِ

كَلِمَاتِ الْمَاضِي السَّخِيفَةِ
دَعْ هَمَمَاتِ لَوْعَتِهِ تَسْكُتُ
وَتُصْبِحُ صَامِتَةً فِي مِثْلِ هُدُوءِ وَكْرِ
الْعَصَافِيرِ النَّائِمَةِ

* * *

القدوم والرحيل

يا حبيبي
تعالى بِحُطُواتِ صامِتةٍ
كَأَنَّكَ في الحُلْمِ .
حينَ رَحَلتِ أَرْسَلَ البَابُ صَريراً
فانْدَفَعَتْ لِذَعْوَتِها إلى الرُّجُوعِ
ولكنَ الحُلْمَ صاراَ غَيْرَ مُتَجَسِّدٍ
وتَلأشى في الظَّلَامِ
وارْتَجَافُ القِنْدِيلِ مِنْ بَعِيدٍ
كَانَ كَسْرابِ أَحْمَرَ بِلَوْنِ الدَّمِ

* * *

يا إلهي
إنني أُحِبُّ

الأمّن الذي يسكن حُقُولَ الأرز
المُمْتَدَّةَ حَتَّى أَقاصِي الأُفقِ
والصَّوْتِ المِتَّصَادِي
في نُورِ الزُّرْقَةِ الصَّافِي
والدهشة التي يتلأعبُ بها
تَدْفُقُ الأَنْعَامُ
على الضُّفَّافِ المُنْعَزِلَةِ مِنَ النَّهْرِ
إن كُوخِي تَلْفَهُ الرِّيحُ وتُحِيطُ
به السَّمَاءُ وَيُطَوِّقُهُ النُّورُ
في اطمِئنانٍ، وِفْرَحٍ، وسَعَادَةٍ
وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّهُ عِنْدَمَا وَصَلَنِي
رَسُولُكَ حَامِلًا الدَّعْوَةَ السَّامِيَةَ
فَإِنِّي أَلْتَمِسُ أَنْ تَهَبِنِي القُوَّةَ .

* * *

طَوَالَ أَعْوَامٍ عَدِيدَةٍ

وَبِثْمَنِ بَاهِظِ
جِبْتِ مُخْتَلَفِ الْبُلْدَانِ
وَذَهَبَتْ لِمُشَاهَدَةِ الْمُحِيطَاتِ
وَلَكِنِّي لَمْ أَفْطِنِ
إِلَى قَطْرَةِ النَّدى الْمُتَأَلِّقَةِ
فَوْقَ سُنْبُلَةِ الْقَمَحِ
أَمَامَ عَتَبَةِ بَابِي .

* * *

إِنَّ الْحَيَاةَ الَّتِي تَتَدَفَّقُ فِي عُرُوقِي
نَهَاراً وَلَيْلاً
تَرْفُصُ عَلَى إِيقَاعِ السَّمَاوَاتِ الْعَجِيبِ
وَتَجْرِي عَبْرَ مَسَامَاتِ الْأَرْضِ
نَاشِئَةً أَوْرَاقَ الْفَرْحِ فِي الزُّهُورِ
وَالْبُدُورِ
وَعَاماً بَعْدَ عَامٍ

تَتَنَوَّبُ الْحَيَاةُ وَالْمَوْتُ ، الْخُطُوبَاتِ
بِمَدِّ الْمُحِيطَاتِ وَجَزْرِهَا .
إِنَّ الْحَيَاةَ الْأَبَدِيَّةَ تَنْبِضُ عِبْرَ أَعْضَائِي
خَالِعَةً عَلَيْهَا جَلالاً
وَخَفَقَانُ قَلْبِ الْعُصُورِ جَمِيعِهَا
يَرْتُقِصُ فِي أَعْضَائِي

* * *

فِي صَمْتِ اللَّيْلِ
وَبُعْيُونِ مُبَلَّلَةٍ بِالْدُمُوعِ
قَبَّلْتَنِي وَهَمَسَتْ فِي أُذُنِي
إِذَا تَرَكَتَنِي
فَإِنْ ثِقَلَ هَذَا الْفَرَاغُ
سَيُخِيفُنِي
وَعَالَمِي سَيَعْدُو قَاسِيًا
وَضَجْرُ السَّمَاءِ الْمُنْتَشِرُ فِي الْآفَاقِ
سَيُبْعِدُ كُلَّ أَمْنٍ .

أَلَمْ غَامِضٌ، مَضَّاضٌ، أَبْكُمْ
مَوْتُ أَفْطَعُ مِنَ الْمَوْتِ .
وَحِينَ سَمِعْتُ ذَلِكَ مِنْكَ
ضَمَمْتُكَ بِقُوَّةٍ إِلَى قَلْبِي
وَهَمَسْتُ

إِذَا رَحَلْتِ
فَسَيَّرَدَدُ صَدَاكَ فِي أَغْنِيَاتِي
وَيَشِيْعُ فِيهَا الْأَلَمُ كَالْوَمْضِ الْخَاطِيفِ
وَسَوْفَ أَجِدُ فِي الْإِبْتِعَادِ عَنْكَ
بَابَ قَلْبِي

وَأَجِدُ بَيْتَكَ فِي عَالَمِي
وَأَصْنَعُ النُّجُومَ إِلَى هَذَا الْهَمْسِ
وَنَشَرْتُ رِسَالَتَهَا عَبْرَ زُهُورِ الْغَابِ
وَحِينَئِذٍ وَصَلَ فَجَاءَةً فِرَاقُ الْمَوْتِ
وَتَوَقَّفْتُ مُبَادَلَاتِنَا الْغَرَامِيَّةَ

ولكن هذا الفراغ ليس فراغاً بسيطاً
إن السماء مكسوةً بغيومٍ مُثقلَةٍ
باللُّوعَةِ

وفي نارِ هذه اللُّوعَةِ
أخُلِقُ أَنَا أُعْنِيَاتِي
وعَالَمِ أَحْلَامِي

* * *

في انتظارك

في نَوْمِكَ
وفي حُدُودِ أَحْلَامِكَ
أَنْتَظِرُ وَأَرْقُبُ فِي صَمْتِ ، مُحَيَّاكَ
مِثْلَ نَجْمَةِ الصَّبَاحِ الَّتِي تَبْدُو أَوَّلَ
مَا تَبْدُو عِنْدَ نَافِذَتِكَ
وفي الطَّرِيقِ نَفْسِهَا ، وَقَرِيباً مِنْ شَاطِئِءِ

الْبَحْرِ
يَعْرِقُ النَّاسِكُ فِي تَأْمَلَاتِهِ
مُوَلِّياً وَجْهَهُ نَحْوَ الشَّرْقِ
إِنْ سَاعَاتِ سَهْرِهِ تَمْضِي فِي نَشْوَةِ
مُورَقَةٍ
وَلَا يَنْتَظِرُ سِوَى أَنْ يَعْرِقَ فِيهَا

مَعَ أَوَّلِ أَضْوَاءِ الصَّبَاحِ .

وَبِعَيْنِيَّ

سَوْفَ أَشْرَبُ ابْتِسَامَتَكَ الْأُولَى

الَّتِي تُزْهِرُ فَوْقَ شَفَتَيْكَ شِبْهَ الْمَفْتُوحَتَيْنِ

مِثْلَ بُرْعَمٍ فِي تَفْتُحِهِ

هَذِهِ رَعْبَتِي . .

أَيُّهَا الْحُزْنُ

حِينَ تَغْمُرُ الْقَلْبَ لَوْعَةً

لَا تَقْبَلُ الْعِزَاءَ

وَيَأْتِي الْحَارِسُ مِنَ الْخَارِجِ

لَيْسُدَّ جَمِيعَ الْأَبْوَابِ فِي وَجْهِ الْعِزَاءِ

فَعَلَى الذَّهْنِ إِذْنُ أَنْ يَسْتَخْرَجَ

سِنْدَهُ الْوَثِيقَ مِنَ الْأَعْمَاقِ الْحَمِيمَةِ

وَقَطْرَاتُ مِنَ الرَّحِيقِ تَتَدَفَّقُ كَالدَّمُوعِ

هَذَا (أَنَا نَدَا) يُزْهِرُ فِي (الْأَنَا)

جَاعِلًا كُلَّ أَلَمِ أَلَمِهِ ، وَكُلَّ وَجَعٍ
وَجَعَهُ

وَفِي هَذِهِ الظُّلْمَةِ العَمِيقَةِ
أَجِدُ فِي قَلْبِي النُّورَ الَّذِي لَا يُطْفَأُ
وَأَفْهَمُ أَنَّ السَّمَاءَ تَسْكُنُ دَوْمًا فِي دَاخِلِي

* * *

النهاية

إِذَا وَجَدْتَ فِي قَلْبِكَ الْغَايَةَ الْأَسْمَى
وَفِي (فِينَا) كُلِّ الْمُتَنَاقِضَاتِ
وَهِيَ تَنْدَمِجُ كُلُّهَا فِي انْسِجَامِ عَذْبٍ
وَإِذَا كَانَتْ شَمْسُ الْغُرُوبِ
حِينَ تَحْمِلُ النَّهَارَ إِلَى الْمَجْهُولِ الْغَامِضِ
تَدْعُوكَ إِلَى الْعَوْدَةِ
وَفِي عِبَادَةِ الْجَمَالِ
تَسْكُبُ آخِرَ أَشِعَّتِهَا.
وَإِذَا كَانَ الْمَسَاءُ تَحْتَ قُبَّةِ
اللَّائِهَاتِي
يُظْهِرُ كَيْفَ يَتَأَجَّجُ مَصْبَاحُ الْأَمْنِ وَالسَّلَامِ
وَإِذَا كَانَ اللَّيْلُ يَفْتُحُ أَبْوَابَ صَمْتِهِ

وَيَقُودُ بِلُطْفٍ إِلَى ضَيْفَةِ الْحَاجِّ
 حَيْثُ تَنْصَهَرُ جَمِيعُ الْأَصْوَاتِ فِي الْمُحِيطِ
 الضَّخْمِ

وَإِذَا تَطَلَّعْتَ إِلَى عِطْرِ اللُّوتَسِ
 الَّذِي يَطْفَحُ فَوْقَ بُحَيْرَةِ الْفِكْرِ
 كَهَبَةٌ أَخْيِرَةٌ
 كَتَجِيَّةٌ أَخْيِرَةٌ

فَعَلَيْكَ إِذْنٌ أَنْ تَخْتِمَ النَّهَارَ
 وَتَدَعَ الْعَمَلَ يَتَوَقَّفُ

* * *

لَقَدْ تَغَدَّتْ حَيَاتِي مِنَ النَّهْرِ
 وَعَبَّرَ جَدَاوِلِهِ
 كَانَتْ عَطَايَا الْكَثِيرِ مِنْ قِمَمِ الْجِبَالِ
 تَنْسَكِبُ فِي السُّفُوحِ
 فَتُعْنِي حُقُولَهَا بِطِينِ النَّهْرِ الْعَظِيمِ

إِن نَسَغَ الحَيَاةَ العَجِيبَةَ
يَغْذِي الحُقُولَ مِن عِدَّةِ مَنَابِعِ
وَتَحِيطُ بِحُلْمِهِ وَيَقْظَتُهُ
سَيُولِ مِنَ الأَغَانِي
تَتَدَفَّقُ مِنَ الشَّرْقِ وَالغَرْبِ
إِن النَّهْرَ رَسُولُ الكَوْنِ
الَّذِي يُقَرِّبُ البَعِيدَ
وَيَحْمِلُ إِلَى بَيْتِ البَعْضِ
تَحِيَّةَ المَجْهُولِ
ذَلِكَ النُّهْرُ قَدْ نُسِجَ فِي كُلِّ أَعْوَامِي

* * *

الهِلَالُ

منطق الطفل

لو أراد الطفلُ
فسيكونُ في وسعِهِ أن يُحَلِّقَ في السَّمَاءِ
فَوْرًا

وبقاؤه معنا لا يخلو من معنى
فهو يجبُ أن يُرِيحَ رأسَه على صدرِ أمِّه
ولا يطيقُ مُجَرَّدَ غيَابِها عن بصرِه .
والطفُّ الصَّغِيرُ يَعْرِفُ كُلَّ ضُرُوبِ
الكَلِمَاتِ الحَكِيمَةِ رَعْمًا أن الذين
يُذَرِّكون معناها، قَلَّةٌ نادرَةٌ
وَإِحْجَامِهِ عَنِ الكَلَامِ لا يخلو من معنى
والشيءُ الوَحِيدُ الذي يَرِغِبُ فِيهِ
أن يتعلَّم الكَلِمَاتِ من شَفَتِي أمِّه

ولهذا يئدو بريثاً ساذجاً
والطفلُ الصَّغِيرُ يَتَوَفَّرُ عَلَى كُنُوزِ
مِنَ الذَّهَبِ وَاللَّائِي
وَمَعَ ذَلِكَ ، فَقَدْ جَاءَ هَذِهِ الْأَرْضَ
فِي هَيْئَةٍ مُتَسَوِّلٍ
وَلَيْسَ مِنَ الْعَبَثِ
أَنْ يَتَّخِذَ هَذَا الْمَظْهَرَ
فَهَذَا الصَّغِيرُ الْعَزِيزُ الْمُتَسَوِّلُ الْعَارِي
كَانَ يَصْطَنِعُ الْعَوَزَ
لِكَيْ يَطْلُبَ حُبَّ أُمِّهِ
وَالطُّفْلُ الصَّغِيرُ خَالَ مِنْ كُلِّ قَيْدٍ
فِي بَلَدِ الْهَلَالِ الرَّهِيْفِ
وَلَيْسَ مِنَ الْعَبَثِ
أَنْ يُدْرِكَ أَنَّهُ بِتَخَلُّيهِ عَنِ حُرِّيَّتِهِ
يَسْتَعِيضُ عَنْهَا بِفَرَحٍ لَامَحْدُودٍ

في رُكنٍ صَغِيرٍ
من قَلْبِ أُمِّه
وَأَعَذَبُ مِنَ الْحُرَيَّةِ
أَنْ تَضُمَّهُ أُمُّه بَيْنَ ذِرَاعَيْهَا الْحَانِيَتَيْنِ
وَالطُّفْلُ لَا يَعْرِفُ الْبِكَاءَ
لأنه يَسْكُنُ فِي وَطَنِ السَّعَادَةِ الْكَامِلَةِ
لَيْسَ مِنَ الْعَبَثِ
أَنْ يَكُونَ قَدْ اخْتَارَ سَكْبَ الدُّمُوعِ
حَتَّى يَجْذِبَ بَابِتِسَامَةٍ وَجْهَهُ الصَّغِيرِ
اللُّطِيفِ
قَلْبَ أُمِّه الْحَنُونِ
وَدُمُوعَهُ الصَّغِيرَةَ الَّتِي تُثِيرُهَا
آلَامُهُ الْبَسِيطَةُ تَنْسِجُ لَهُ رِبَاطاً
مِنَ الرَّحْمَةِ وَالْحُبِّ

البيت

كنتُ أمشي وحدي
في الدربِ الواقعِ بينِ الحقولِ
وكان الغروبُ يُبدي في بخلِ
آخرَ ألوانه الذهبيةِ
والنهارُ يعطسُ في الظلِّمةِ
والأرضُ الجرداءُ التي حصدتْ محاصيلها
كانت تَمْتدُّ في صمتٍ ..
وفجأة ارتفعَ في الجوّ
صوتُ حادّ
صوتُ طفلٍ كان يسيرُ في الظلِّمةِ
تاركاً خلفه أثرَ أغنيتهِ
وكانت قريته تَقَعُ في نهايةِ الأرضِ غيرِ المزرُوعَةِ

بَعْدَ حَقْلِ قَصَبِ السُّكَّرِ
مُخْتَبِئَةً بَيْنَ ظِلَالِ الْمَوْزِ وَأَشْجَارِ
النَّخْلِ السَّامِقَةِ وَجَوْزِ الْهِنْدِ
وَأَشْجَارِ (الْحَاكِ) الْخَضْرَاءِ .
وَتَوَقَّفْتُ بِرَهَةٍ قَصِيرَةٍ
صَامِتًا تَحْتَ أَضْوَاءِ النُّجُومِ
وَأَمَامِي
كُنْتُ أَرَى الْأَرْضَ الْمُظْلَمَةَ
تَحْتَضِنُ بِذِرَاعَيْهَا عَدَدًا كَبِيرًا
مِنَ الْمَسَاكِينِ الْعَامِرَةِ بِالْأَسْرَةِ وَالْمُهْودِ
وَقُلُوبِ الْأُمّهَاتِ ، وَقَنَادِيلِ الْمَسَاءِ
وَنُفُوسِ شَابَةِ سَعِيدَةٍ
سَعَادَةٌ لَا تَعْرِفُ هِيَ نَفْسُهَا شَيْئًا عَنِ
قِيَمَتِهَا بِهَذَا الْكَوْنِ . . .

المشهد المهمل

إيه ، يَا طِفْلِي
مَنْ الَّذِي صَبَغَ ثَوْبَكَ الصَّغِيرَ
وَعَطَى أَطْرَافَكَ الغَضَّةَ بِذَلِكَ
الرَّدَاءِ الأحمر الصَّغِيرِ؟
لَقَدْ خَرَجْتَ عِنْد الصَّبَاحِ لِللَّعِبِ
فَكُنْتَ تَرَكُضُ فِي غَيْرِ اطْمِئْنَانِ
وَتَكْبُورِ فِي بَعْضِ الأَحْيَانِ
وَلَكِنْ مَنْ الَّذِي صَبَغَ هَذَا الثَّوْبَ الصَّغِيرَ
يَا بُنَيَّ . . .

مَا الَّذِي يُضْحِكُكَ
يَا زَهْرَتِي الصَّغِيرَةَ
أُمُّكَ تَبْتَسِمُ لَكَ عِنْدَ عَتَبَةِ البَابِ

وَتُصَفِّقَ لَكَ فَتَرِنًا أَسُورَتُهَا
فَتَرْتُقِصُ أَنْتَ لِذَلِكَ
وَقَدْ أَمْسَكْتَ قَصَبَةَ الْبَابِ بِيَدِكَ
كَأَنَّكَ رَاعٍ صَغِيرٍ
وَلَكِنَّ مَا الَّذِي يُضْحِكُكَ
يَا زَهْرَتِي الصَّغِيرَةَ؟
أَيُّهَا الْمُسَوَّلُ . . . مَاذَا تَسْتَجِدِّي
مُتَعَلِّقًا بِعُنُقِ أُمِّكَ بِكِلْتَا يَدَيْكَ؟
أَيُّهَا الْقَلْبُ النَّهْمُ . أَيِّنَّبِغِي عَلَيَّ
أَنْ أَقْطِفَ الْكُونَ كَمَا لَوْ كَانَ فَآكِهَةً
سَمَاوِيَّةً لِأَلْقِي بِهِ فِي يَدِكَ الْوَرْدِيَّةِ؟
أَيُّهَا الْمُسَوَّلُ . . . مَاذَا تَسْتَجِدِّي؟
إِنَّ الرِّيحَ تَحْمِلُ فِي فَرَحٍ
صَدَى رَنَاتِ خَلَاخِيلِكَ الصَّغِيرَةِ
وَالشَّمْسُ تَبْتَسِمُ لِرُؤْيَا هِنْدَامِكَ

وَالسَّمَاءُ تَسْهَرُ عَلَيْكَ
حِينَ تَعْفُو بَيْنَ ذِرَاعِي أُمَّكَ
وَالفَجْرُ يَقْتَرِبُ مِنْ سَرِيرِكَ الصَّغِيرِ
عَلَى أَطْرَافِ قَدَمَيْهِ ، لِيُقَبِّلَ
عَيْنَيْكَ
إِن الرِّيحَ تَحْمِلُ فِي فَرْحِ
رَنِينِ خَلَاخِيلِكَ الصَّغِيرَةِ
وَحُورِيَّةِ الْأَحْلَامِ تَهْبِطُ إِلَيْكَ
مُحَلَّقَةً عَبْرَ السَّمَاءِ بِجَوَارِكَ
فِي قَلْبِ أُمَّكَ
وَذَلِكَ الَّذِي يَعْرِفُ مُوسِيْقَاهُ
لِلنَّجُومِ يَقِفُ إِلَى نَافِذَتِكَ
بِنَايِهِ الرَّهِيْفِ
وَحُورِيَّةِ الْأَحْلَامِ تَنْزِلُ نَحْوَكَ
عَبْرَ سَمَاءِ الْعُرُوبِ

سارقة النوم

مَنْ الذِي سَرَقَ النَّوْمَ مِنْ عَيْنِي الطِّفْلِ الْوَلِيدِ؟
يَجِبُ عَلَيَّ أَنْ أَعْرِفَهُ
إِنَّ الْأُمَّ وَهِيَ تَضُمُّ الْجُرَّةَ إِلَى صَدْرِهَا
قَدْ ذَهَبَتْ لِأَخِذِ الْمَاءِ مِنَ الْقَرْيَةِ الْقَرِيبَةِ
كَانَ مُتَّصِفَ النَّهَارِ
وَوَقْتُ اللَّعِبِ قَدْ إِنْتَهَى
وَيَجْعُ الْغَدِيرُ لِيَزِمَ الصَّمْتَ
وَالرَاعِي يَرْقُدُ تَحْتَ ظِلِّ شَجَرَةِ الْبِنَانِ الْكَبِيرَةِ
وَمَا لِكَ الْحَزِينِ مُتَّجِهًا وَسَاكِنَ عِنْدَ الْغَدِيرِ
الْوَاقِعِ قُرْبَ غَابَةِ الْمَانِجَا
فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ جَاءَتْ سَارِقَةُ النَّوْمِ
وَانْتَزَعَتْ النَّوْمَ مِنْ عَيْنِي الطِّفْلِ
وَطَارَتْ

وَعِنْدَ الْعَوْدَةِ ، وَجَدَتِ الْأُمَّ طِفْلَهَا
 يَحْبُو فِي الْغُرْفَةِ
 مِنَ الَّذِي سَرَقَ النَّوْمَ مِنْ عَيْنِي طِفْلِنَا ؟
 عَلِيٌّ أَنْ أَعْرِفَهَا
 عَلِيٌّ أَنْ أَعْتَرَّ عَلَيْهَا وَأَقِيدَهَا بِالسَّلْسِلِ .
 عَلِيٌّ أَنْ أَفْتَشَّ فِي الْكَهْفِ الْمُظْلِمِ
 بَيْنَ الصُّخُورِ وَالْأَحْجَارِ الْمُتَجَهِّمَةِ
 حَيْثُ يَتَأَلَّقُ جَدُولُ صَغِيرٍ
 عَلِيٌّ أَنْ أَفْتَشَّ فِي الظِّلِّ النَّاعِسِ
 مِنْ غَابَةِ الْبَاكُولَا الصَّغِيرَةِ حَيْثُ
 حَيْثُ الْحَمَامُ يَقْبَعُ فِي زَوَايَاهُ
 وَخِلَانِخِيلِ تَرْنٍ فِي سَيْقَانِ الْحُورِيَّاتِ
 مِنْ صَمْتِ اللَّيَالِي الْمُرْصَعَةِ بِالنُّجُومِ
 وَفِي الْمَسَاءِ ، سَوْفَ أَسْتَرِقُ النَّظَرَ
 فِي صَمْتِ غَابَةِ الْبَامْبُو « حَيْثُ الْحُبَّاحِبُ
 تُبَدِّدُ أَضْوَاءَهَا ، وَاسْأَلْ كُلَّ مَخْلُوقٍ
 أَقَابِلَهُ (أَفِيكُمْ مِنْ يَدُلُّنِي عَلَى سُكْنَى

سارقة النوم)

التي سرقت النوم من عيني الطفل؟ علي أن أعرفها
لو استطعت القبض عليها
للقنتها درساً هائلاً .

سأذهبُ إلى وكرها .

وأنظر أين تجمع كل النوم المسروق

سأخذه لأعود به إلى البيت

سأقيد جناحها قيداً مُحكماً

وأضعها عند ضفة النهر

واترك لها أن تصطاد السمك

بين الأسل

وحين تنتهي السوق في المساء

ويجلس أطفال القرية

في أحضان أمهاتهم

فإن طيور الليل سوف تصم

سمعها بالترديد

ممن ستسرقين النوم . الآن ؟ ..

البداية

مِنْ أَيْنَ جِئْتُ؟ وَمِنْ أَيْنَ أَخَذْتَنِي؟
كَانَ الطِّفْلُ الصَّغِيرُ يَسْأَلُ أُمَّهُ
فَأَجَابَتْهُ الْأُمُّ بِأَكْيَافٍ
وَشِبْهِ ضَاحِكَةٍ ، وَهِيَ تَضُمُّهُ
إِلَى صَدْرِهَا .
لَقَدْ كُنْتُ مُخْتَفِيًّا فِي قَلْبِي
كَأَمْنِيَّةٍ يَا حَبِيبِي
كُنْتُ فِي دُمَى أَلْعَابِ طِفُولَتِي
وَحِينَ كُنْتُ ، كُلَّ صَبَاحٍ
أَصْنَعُ مِنَ الطِّينِ صُورَةَ إِلَهِي
كُنْتُ أَيْضًا أَكُونُ
صُورَتِكَ وَأَعِيدُ تَكْوِينَهَا
لَقَدْ كُنْتُ مُحْفُوظًا فِي خِزَانَةِ ذَخَائِرِ

مُقَدَّسَاتِنَا الْعَائِلِيَّةُ
وَفِي عِبَادَتِنَا لَهَا ، كُنَّا نَعْبُدُكَ
فِي كُلِّ آمَالِنَا
وَفِي كُلِّ حُبِّنَا
وَفِي حَيَاتِي ، وَحَيَاةِ أُمِّي
كُنْتَ أَنْتَ الَّذِي تَعِيشُ
وَفِي حِضْنِ الرُّوحِ الْخَالِدَةِ
الَّتِي تَحْفَظُ أَسْرَتَنَا
تَغَذَّيْتِ هُنَاكَ لِأَعْوَامٍ عَدِيدَةٍ
وَعِنْدَ شَبَابِي ، وَحِينَ فَتَحَ
قَلْبِي أَفْوَاهَهُ
كُنْتَ تَحُومُ حَوْلَهُ كَالْعِطْرِ
وَأَزْدَهَرَ لُطْفُكَ فِي جَسَدِي الشَّبَابِ
مِثْلَ رَوْعَةِ السَّمَاءِ قُبَيْلِ الْفَجْرِ
أَنْتَ يَا أَوْلَ حُبِّ سَمَاوِيٍّ
يَا تَوَّامُ نُورِ الصَّبَاحِ
هَبَّطْتَ إِلَيْنَا رَفَافَ الْجَنَاحَيْنِ فَوْقَ تِيَارِ حَيَاةِ الْعَالَمِ

وأخيراً نزلتَ في قلبي
وحينُ الأَحيظِ وَجْهَكَ الصَّغِيرِ
يَغْلِبُنِي السَّرُّ وَيَغْرِقُنِي
أنتَ الَّذِي تَخُصُّ الْجَمِيعَ
صِرْتَ لِي وَحْدِي
وَخَوْفًا مِنْ أَفْقِدَكَ
أُضْمَكُ إِلَى صَدْرِي
أَيُّ سِحْرٍ هَذَا الَّذِي قَيَّدَ
خَزَائِنَ الكَوْنِ بَيْنَ ذِرَاعِيَّ
الوَاهِتَيْنِ؟

دنیا الطفل

أريد أن أشغل زاوية هادئة
من قلب دنيا طفلي
أعرف أن النجوم تتحدث إليه
وأن السماء تنحني في حنو على محياه
لئبها بأقواس قزح وبعض الغيوم العابثة .
تلك الأشياء التي تتظاهر بأنها بكما
وتظهر أنها غير قادرة على الحركة
تأتي كلها إلى نافذته وتتملقه
بأقاصيصها وبأوعية ملأى باللعب البراقة
لكم أتمنى أن أرحل عبر الطريق
التي تخترق عقل الطفل ،
وخارج كل الحدود

حَيْثُ الرُّسُلُ تَحْمِلُ أَنْبَاءَ لَا غَايَةَ لَهَا
بَيْنَ مَمَالِكٍ لَا تَنْتَمِي إِلَى أَيِّ تَارِيخٍ
حَيْثُ يَجْعَلُ الْعَقْلُ مِنْ قَوَانِينِهِ
نُسُوراً يَدْفَعُهَا إِلَى التَّحْلِيْقِ
وَحَيْثُ الْحَقِيقَةُ تُحَرِّرُ الْوَقَائِعَ
مِنْ أَسْرِ الْعُبُودِيَّةِ

متى ولماذا

حين أُحْمِلُ إِيَّكَ ، يا طِفْلِي الصَّغِيرِ
دُمِّي مُتَعَدِّدَةَ الْأَلْوَانِ
فَلِنِّي أَفْهَمُ سِرَّ وُجُودِ الْعَدِيدِ مِنَ الْأَلْوَانِ
فِي الْغُيُومِ وَالْمَاءِ
وَأَفْهَمُ لِإِذَا كَانَتِ الزُّهُورُ مَلَوْنَةً
بِطَرِيقَةٍ غَرِيبَةٍ
حين أُهْدِي إِيَّكَ دُمِّي مُتَعَدِّدَةَ الْأَلْوَانِ.
وحين أُغْنِي لِتَرْقِصِكَ
أَفْهَمُ حَقًّا لِإِذَا تُوجَدُ مُوسِيقَى
فِي أَوْرَاقِ الشَّجَرِ
وَالْأَمْوَاجِ تُرْسِلُ أَنَاشِيدَ
أَصْوَاتِهَا الْمَائِيَّةِ حَتَّى تَبْلُغَ قَلْبَ الْأَرْضِ الْمُصْغِيَةِ إِلَيْهَا
حين أُغْنِي لِتَرْقِصِكَ

وحيث أقدم الحلوى إلى يديك الشرهتين
أفهم لياذا يوجد العسل
في أكمام الزهر
ولياذا كانت الفواكه مليئة

بالعصير اللذيذ

حين أقدم الحلوى إلى يديك
وحيث أقبلك من أجل أن تبسّم
يا حبيبي ، أفهم يقيناً
تلك البهجة التي تنال من السماء
في ضوء الفجر ، وأي متعة
يمنحها نسيم الصيف إلى كيان الجسد
حين أقبلك من أجل أن تبسّم

تَشْهِير

لِإِذَا كُلَّ هَذِهِ الدَّمُوعِ فِي عَيْنِكَ
يَا طِفْلِي الصَّغِيرِ؟
لَكُمْ يُبَالِغُونَ فِي تَأْنِيكِ
لَأَتَفَهُ الْأَسْبَابِ ، عَلَى الدَّوَامِ
لَقَدْ لَطَّخْتَ يَدَكَ وَوَجْهَكَ
بِالْحَبِيرِ أَثْنَاءَ الْكِتَابَةِ
فَلِهَذَا يَقُولُونَ عَنْكَ أَنْتَ قَدْرٌ؟
هُرَاءُ ، أَيْجْرَأُونَ عَلَى الْقَوْلِ
بِأَنَّ الْبَدْرَ قَدِيرٌ لِمُجَرِّدِ
أَنْ تَلَطَّخَ وَجْهَهُ بِالْحَبِيرِ؟
لَهُمْ لِكُلِّ تَرْهَةٍ
يَا طِفْلِي الصَّغِيرِ
يَجِدُونَ سَبَبًا لِلضَّحْكَ مِنْكَ

على أقلّ الأخطاء
لقد مرّقت ثيابك أثناء اللّعب
فلهذا يقولون عنك إنك طائش
هذا هراء. ما عساهم يقولون
في صباح خريفي يتّسّم بين الغيوم
المتلبّدة؟

لا تهتمّ يا طفلي بما يقولون
إنهم يعدّدون أخطائك في قائمة طويلةٍ
وجميعهم يعلم أن الحلويات تروق لك
ولهذا يُسمونك نهماً شرهاً؟
هذا هراء. ماذا عساهم إذن يقولون
عنا نحن الذين نُحبك

القاضي

قُولُوا عَنْهُ مَا تَشَاءُونَ
فَأَنَا أَعْرِفُ عُيُوبَ طِفْلِي
لَا أَحِبُّهُ لِأَنَّهُ طَيِّبٌ
وَلَكِنِّي أَحِبُّهُ لِأَنَّهُ صَغِيرِي
كَيْفَ لَكُمْ أَنْ تَعْرِفُوا
مِقْدَارَ مَعْرِتِهِ
إِذَا كُنْتُمْ تَزِنُونَ مَزَايَاهُ وَعُيُوبَهُ؟
حِينَ أَهْمُ بِمَعَاقِبَتِهِ
يُصْبِحُ قِطْعَةً مِنِّي عَلَى نَحْوِ أَكْبَرِ
وَحِينَ أَبْكِيهِ ، يَبْكِي قَلْبِي مَعَهُ
أَنَا وَحْدِي لِي الْحَقُّ فِي لَوْمِهِ وَعِقَابِهِ
لِأَنَّهُ لَا يَحِقُّ أَنْ يُسَلِّطَ الْعِقَابَ
إِلَّا مِنْ أَحَبِّ ..

دُمى

مَا أَسْعَدَكَ أَيُّهَا الطُّفْلُ الصَّغِيرُ
وَأَنْتَ جَالِسٌ فَوْقَ التُّرَابِ
تَلْعَبُ طَوَالَ الصَّبَاحِ بِغُصْنِ صَغِيرٍ
إِنِّي أَضْحَكُ مِنْ لَهْوِكَ هَذَا بِذَلِكَ
الْغُصْنِ الْمَكْسُورِ
أَمَا أَنَا فَمُسْتَعْرِقٌ اسْتِعْرَاقًا كَامِلًا
فِي جَمْعِ أَرْقَامِي ، سَاعَاتٍ وَسَاعَاتٍ
رُبَّمَا رَمَقْتَنِي مُفَكِّرًا سَاحِرًا قَائِلًا فِي ذِهْنِكَ
يَا لَهَا مِنْ لُغْبَةٍ غَبِيَّةٍ يَضِيعُ فِيهَا الصَّبَاحُ
أَيُّهَا الطُّفْلُ ، لَقَدْ نَسِيتُ فَنَّ اللَّعِبِ
بِأَكْوَامِ الْوَحْلِ وَالْعِصِيِّ
إِنِّي أَبْحَثُ عَنْ دُمَى غَالِيَةٍ

وَأَجْمَعُ أَكْوَاماً مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ
وَأَنْتَ تَسْتَطِيعُ خَلْقَ أَلْعَابِكَ الْمُفْرِحَةِ
بِكُلِّ مَا يَقَعُ تَحْتَ يَدِكَ
أَمَا أَنَا فَإِنِّي أَبَدُّ وَتَمِي وَقَوَايِ
فِي سَبِيلِ أَشْيَاءَ لَا أَنْجَحُ أَبَداً
فِي الْحُصُولِ عَلَيْهَا
وَأُجْهِدُ نَفْسِي وَزُورِقِي الْبِدَائِيَّ الْخَفِيفَ
لِعُبُورِ بَحْرِ الشَّهَوَاتِ
وَأُنْسَى
أَنْ زُورِقِي هُوَ الْآخِرُ
مُجَرَّدٌ لِعِبَةِ

الفلكي

قلتُ : في الليل ، حين يكون
القمرُ ، بدرًا أسيراً بين أغصان
شجرِ الكَدَمِ ، ألا يكونُ في وَسْعِ
أحدنا أن يُمسِكَ بِهِ؟

ولكن أخي الأكبر سَخَرَ مِنِّي وقال :
أيها الطفلُ الصَّغِيرُ إِنَّكَ لَغَيِّبٌ صَغِيرٌ
إن القمرَ دائماً بعيدٌ عنَّا
كيف يُمكننَّا أن نُمسِكَ بِهِ؟

قلتُ : يالك من غَيِّبٍ أيها الأخ الكبير
أحين تُواجه أُمنا النَّافِذَةَ
وتنظرُ إلينا باسمَةً ونحنُ نلهوُ بالعابِنَا
هل تقولُ إنَّها بعيدة؟

ولكن أخي الأكبر قال : إِنَّكَ لَغَيِّبٌ حَقًّا

أين يُمكنك أن تجدَ شبكةَ كبيرةٍ
تُمْسِكُ بِهَا القَمَرَ؟
قلتُ : يُمكنُ أن أُمسِكَهُ بِيَدِي
ولكن أخي الأكبرَ ضحكَ وقالُ :
إِنَّكَ أَغْبَىَ طِفْلٍ عَرَفْتَهُ
لو دنا منا القمَرُ
لرأيتَ مقدارَ ضخامتِهِ
قلتُ : أيها الأخ الأكبرُ آيةُ حماقاتٍ
يَعْلَمُونَكَ في المَدْرَسَةِ
حينَ تُنحني أُمُّنا لِتَقْبِلِنَا
أبيدو لك أن وجهها كبيرٌ؟
ولكن أخي الأكبرَ كررَ القولَ:
إِنَّكَ حَقًّا لَطِفْلٌ غَبِيٌّ...

غيوم وأمواج

يا أمّاه

إِن سَكَانَ الْغُيُومِ يَدْعُونَنِي لِلذَّهَابِ مَعَهُمْ
سَنَلْعَبُ وَنَلْهُو مِنْ الصَّبَاحِ حَتَّى الْمَسَاءِ
سَنَلْهُو مَعَ الْفَجْرِ الذَّهَبِيِّ
وَنَلْهُو مَعَ الْقَمَرِ الْفِضِّيِّ
وَسَأَلْتُ

كَيْفَ يُمْكِنُنِي الصُّعُودُ لِلْعِبِّ مَعَكُمْ؟
تَعَالِ حَيْثُ نِهَآيَةُ الْأَرْضِ
وَابْسِطْ يَدَيْكَ نَحْوَ السَّمَاءِ
وَسِيكُونُ فِي وَسْعِكَ الصُّعُودُ إِلَى الْغُيُومِ .
إِن أُمِّي فِي انْتِظَارِي فِي الْبَيْتِ

كَيْفَ يُمَكِّنُنِي تَرْكُهَا وَالْحُضُورُ إِلَيْكُمْ .
وَحِينَئِذٍ ضَحِكُوا مِنِّي وَوَلَّوْا مُسْرِعِينَ
يَا أُمَّاهُ ، إِنِّي أَعْرِفُ لَعِبَةً أَجْمَلَ
أَكُونُ فِيهَا أَنَا الْغُيُومَ
وَتَكُونِينَ أَنْتِ الْقَمَرَ
وَسَأَعْطِيكَ بِكُلِّ يَدَيَّ
وَسَقْفُنَا سَيَكُونُ السَّمَاءَ
أَوْلَئِكَ الَّذِينَ يَسْكُنُونَ الْأَمْوَاجَ
يَدْعُونَنِي لِلذَّهَابِ مَعَهُمْ
سَنَلْعَبُ مِنَ الصَّبَاحِ حَتَّى الْمَسَاءِ
وَسَنَرَحَلُ دُونَ أَنْ نَدْرِي إِلَى أَيْنَ
وَأَسْأَلُ

كَيْفَ يُمَكِّنُنِي أَنْ أَنْضَمَّ إِلَيْكُمْ وَالْعَبُّ مَعَكُمْ
تَعَالَى إِلَى حَافَةِ الشَّاطِئِ
وَالْبَثُّ هُنَاكَ بِعَيْنَيْنِ مُغْمَضَتَيْنِ

وَسْتَحْمِلُكَ الْأَمْوَاجَ

إِن أُمِّي تُصَيِّرُ عَلَيَّ وُجُودِي فِي الْبَيْتِ مَسَاءً

فَكَيْفَ يُمَكِّنُنِي تَرْكُهَا وَالْحُضُورُ إِلَيْكُمْ

فَابْتَسِمُوا، وَرَقِصُوا، وَأَنْصَرِفُوا عَنِّي

وَلَكِنِّي أَعْرِفُ لُغَبَةَ أَحْسَنَ

أَن أَكُونَ أَنَا الْأَمْوَاجَ

وَأَنْتِ الشَّاطِئَةُ الْغَرِيبَ

وَأَجْمَعُ نَفْسِي فِي انْدِفَاعَةِ طَوِيلَةٍ

ثُمَّ أَنْكَسِرُ قِطْعاً فَوْقَ نَهْدِكَ

ضَاحِكاً

وَلَا أَحَدَ فِي الْكَوْنِ

يَدْرِي مَكَانَكَ وَمَكَانِي

* * *

زهرة الشامبا

لِنَفْرِضْ ، عَلَى سَبِيلِ الْعَبَثِ ، أَنِّي أَصِيرُ
زَهْرَةَ شَامْبَا

تَنْمُو فَوْقَ الْغُصْنِ ، وَتَهْتَرُ ضَاحِكَةً لِلرِّيحِ
وَتَرْقُصُ فَوْقَ الْأَوْرَاقِ النَّضِيرَةِ الْغَضَّةِ
فَهَلْ سَتَعْرِفِينِي يَا أُمَّهُ ؟

وَتَتَادِينِي : أَيُّهَا الطِّفْلُ ، أَيْنَ أَنْتَ ؟
وَأَنَا أَضْحَكُ مِنْ هَذَا النَّدَاءِ بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِي
وَأُظِلُّ مُلَازِمًا الصَّمْتَ

وَأَفْتَحُ أَفْوَافَ زَهْرَتِي بِسُرْعَةٍ
وَأَلْحِظُكَ وَأَنْتَ مُنْصَرِفَةٌ إِلَى الْعَمَلِ .
وَعِنْدَمَا تَفْرَغِينَ مِنْ حَمَامِكَ

وَبِشَعْرِكَ الْمُبَلَّلِ الْمُنْسَرِحِ فَوْقَ الْكَتِفَيْنِ
تَمُرِينَ تَحْتَ ظِلِّ شَجَرَةِ الشَّامْبَا

متوجهة الى الساحة الصغيرة
حيثُ تَرتلينِ صَلَوَاتِكَ
مُلاحِظَةً عِطْرَ الزَّهْرَةِ
دُونَ أَنْ تَعْرِفِي أَنَّهُ يَضُوعُ مِنِّي
وَحِينَ تَجْلِسِينَ بَعْدَ الْغَدَاءِ إِلَى النَّافِذَةِ
تَقْرَأِينَ (الرَّمَايَاتِ)
وَالشَّجَرَةَ تُلقِي ظِلَّالَهَا فَوْقَ غَدَائِكَ
وَأَلْقِي أَنَا بِظِلِّي الصَّغِيرِ فَوْقَ حِضْنِكَ
وَعَلَى الصَّفْحَةِ الَّتِي تَقْرَأِينَهَا مِنَ الْكِتَابِ
فَهَلْ سَتَتَصَوَّرِينَ أَنَّهُ الظِّلُّ الضَّئِيلُ
لِطِفْلِكَ الصَّغِيرِ؟
وَفِي الْمَسَاءِ ، حِينَ تَقْصِدِينَ الْحِظِيرَةَ
وَتَحْمِلِينَ بِيَدِكَ الْمِصْبَاحَ الْمُضِيءَ
سَأَقْفُزُ فِجَاءَةً إِلَى الْأَرْضِ
وَأَصْبِحُ طِفْلَكَ مِنْ جَدِيدٍ
وَأَطْلُبُ مِنْكَ أَنْ تَقْصِي لِي قِصَّةً

وتسألين أين كنتُ أيها الطائشُ الصَّغِيرُ؟
أفضَلُ أن لا أُخْبِرَكَ بشيءٍ يا أمَّاهُ
فَمَا أَكْثَرَ ما سَوَّفَ نَتَحَدَّثُ عن هذا وذاك ...

البلد المسحور

لو عرفَ النَّاسُ مكانَ قَصْرِي
لتلَّاشَى في الفِضَاءِ
فَجُدْرَانُهُ من فَضَّةٍ
وَسُقُوفُهُ من ذَهَبٍ
وتَقِيمُ المَلِكَةِ في قِصْرِ لِه سَبْعَ أَفْنِيَةٍ .
وتَحَلَّى بِجَوْهَرَةٍ تُساوِي قِيمَتُهَا
سَبْعَ مَمَالِكِ .
إِنِّي أُخْبِرُكَ هَمْسًا يَا أُمَّاهُ ،
بِمَوْقِعِ قَصْرِي المَلِكِي ؟
إِنَّهُ في زَاوِيَةٍ من سَطْحِ بَيْتِنَا
حَيْثُ زَهْرِيَّةُ التُّوَلْسِي .
والْأَمِيرَةُ تَضْجَعُ نَائِمَةً
فوق الشَّاطِئِ القِصْبِي لِلْبَحَارِ السَّبْعَةِ

التي لا يُمْكِنُ لِأَحَدٍ أَنْ يَمْنُحَهَا
ولا أحد في الكون يُمْكِنُهُ أَنْ يَعْتُرَ عَلَيْهَا سِوَايَ .
لَدَيْهَا أُسُورَةٌ وَأَقْرَاطٌ مِنْ لَأَلِيءٍ
وَعَدَائِرُهَا تَنْسَابُ حَتَّى قَدَمَيْهَا
وهي تَسْتَيْقِظُ بِمُجَرَّدِ أَنْ أَلْمَسَهَا
بِعَصَايَا السُّحْرِيَّةِ
وَتَتَأَثَّرُ الْجَوَاهِرُ مِنْ فَمِهَا حِينَ تَبْتَسِمُ لِي
إِنِّي أَفْضِي إِلَيْكَ هَمْسًا يَا أُمَامَ بِمَكَانِهَا
إِنَّهَا فِي زَاوِيَةٍ مِنْ سَطْحِ بَيْتِنَا
حَيْثُ زَهْرِيَّةُ التُّوَلْسِيِّ
لِتَصْعَدِي إِلَى هَذَا السَّطْحِ
حِينَ تَحِينُ سَاعَةٌ ذَهَابِكَ إِلَى النَّهْرِ
لِلِاسْتِحْمَامِ
فَسَتَجِدُنِي جَالِسًا فِي زَاوِيَةٍ مِنْهُ
حَيْثُ تَتَلَاشَى ظِلَالُ الْجُدْرَانِ
وَالِهَرَّةُ وَحَدَّهَا هِيَ الَّتِي أَسْمَحُ لَهَا بِمُصَاحَبَتِي

لأنَّهَا تَعْرِفُ أَيْنَ يَعْيشُ
حَلَّاقُ الخُرَافَةِ
إِنِّي أَخْبِرُكَ يَا أُمَّهُ ، أَيْنَ يَعْيشُ
حَلَّاقُ الخُرَافَةِ
فِي زَاوِيَةٍ مِنْ سَطْحِ بَيْتِنَا ،
حَيْثُ زَهْرِيَّةُ التُّولْسِيِّ .

أرض المنفى

يا أمّاه
لقد شحّب النور في السماء
ولا أعرف ما هي السّاعة
ولقد خلّت لُعيتي من المتعة
فجئتُ إليك
إنه السبت ، يوم عيدنا
با أمّاه ، كُفّي عن العمل
واجلسي إلى النافذة
وقصّي عليّ أين تُوجد صحراء تبتار
إن ظلّ المطر
قد غطّى النهار كلّهُ
والبرق يمزق السماء بمخالبه الوحشيّة
وعندما تدمدم الغيوم وترعدُ

فإنه يروقُ لي الارتجافُ خوفاً
والتعلُّقُ بِصَدْرِكَ بِقُوَّةٍ
وعندما يسقطُ المَطَرُ بغزارةٍ
فوق أوراقِ البامبو
وترتجفُ النوافذُ وترتعشُ
تحتَ عَصْفِ الرِّيحِ
يروقُ لي أن أجلسَ إليك ، والبقاءَ مَعَكَ
وحدي ، وأصغني إليك تَتَحَدَّثِينَ
عن صحراءِ تَبْتَتَارِ الخُرَافِيَّةِ
تُرى أين هي يا أمَّاه
على شواطئِ أيِّ بحرٍ؟
وفي سُفوحِ أيِّ الهضابِ؟
وفي ممالكِ أيِّ مَلِكٍ؟
هناكَ لا تُوجَدُ الأَسْبِجَةُ
لِتَمييزِ الحُقُولِ
وليس هناكُ دَرْبٌ يَعُودُ السُّكَّانَ عَبْرَهُ

إلى قُراهم في المساء
ولا نساء يجمعن الحطب من الغاب
ويحملنه إلى السوق
بقع من العشب الأصفر المتناثرة فوق الرمل
وشجرة وحيدة يعيش فيها زوجان
من الطيور الحكيمة
هناك تمتد صحراء تبنتار
في وسعي أن أتخيل :
في يوم غائم مثل هذا اليوم
كان ابن الملك يعبر
درباً رمادياً ، ممتطياً سهوة جواده
يجتاز به الصحراء وحده
بحثاً عن الأميرة
الأسيرة في قصر المارد العِملاق
فيما وراء البحر المعروف
وعندما تهبط ظلمة المطر

من السماء البعيدة
ويجرحُ البرقُ فجأةَ السماءَ
كوخزةِ الألمِ الحادِّ الخاطِفِ
أترأهُ يفكرُ في أمِّهِ البائِسةِ
التي هجرها المَلِكُ ، وحكمَ عليها
بتنظيفِ الحظيرةِ ، بينما ابنها
يَجُوبُ الصَّخْرَاءَ بجوادهِ
انظري يا أمَّاه ، إنها الظلمةُ تقريباً
قَبْلَ أَنْ يَهْبَطَ المساءُ
ليسَ هناكُ مُسافرٌ
في طَرِيقِ القَرْيَةِ
وقد عادَ الرَّاعي الصَّغِيرُ إلى بَيْتِهِ
من المرعى ، مُبَكِّراً
والفلاحونَ تَرَكوْا الحُقُولَ
وجلسوا أمامَ أُكُوخِهِمْ
يرقبونَ الغيومَ المتوَعِّدةَ

لَقَدْ تَرَكْتُ كُلَّ كُتَيْبِي فَوْقَ الرَّفِّ
فَلَا تَطْلُبِي مِنِّي يَا أُمَّاهُ ، أَنْ أُؤَدِّيَ دُرُوسِي الْآنَ
فَحِينَ أَكْبَرَ وَأَصِيرُ مِثْلَ أَبِي
فَأِنِّي سَوْفَ أَتَعَلَّمُ مَا يَنْبَغِي تَعَلُّمُهُ
وَلَكِنِ الْيَوْمَ
قُصِّي عَلَيَّ يَا أُمَّاهُ
أَيْنَ تُوجَدُ صَحْرَاءُ تَبْتَنَارَ

اليوم المطير

غُيُومٌ كَثِيفَةٌ تَجْمَعُ بِسُرْعَةٍ
عند طَرْفِ الغَايَةِ الْمُظْلِمِ
يَا طِفْلِي ، لَا تَخْرُجْ ، لَا تَخْرُجْ
إِن أَشْجَارَ النَّخِيلِ الْمُصْطَفَّةَ
على ضِفَّةِ البُحَيْرَةِ
تَهْزُ جَرِيدَهَا فِي وَجْهِ السَّمَاءِ الْمُكْفَهَرَةِ
وَالْغُرَبَانُ بِأَجْنِحَتِهَا الْمُطَّخَّةِ بِالْوَحْلِ
تُلَازِمُ الصَّمْتِ فَوْقَ أَشْجَارِ تَمَرِ الهِنْدِ
وَالضِفَّةُ الشَّرْقِيَّةُ مِنَ النَّهْرِ
قَدْ دَاهَمَتْهَا ظُلْمَةٌ دَاجِيَةٌ
والبَقْرَةُ المَشْدُودَةُ إِلَى الوَتْدِ الجَافِ
تَخُورُ خُورًا عَالِيَا. فَانْتَظِرْنِي
هُنَا حَتَّى أَقُودَهَا إِلَى الحِظْرَةِ

إنَّ النَّاسَ يَتَجَمَّعُونَ فِي الْحُقُولِ الْمَغْمُورَةِ بِالْمِيَاهِ
لِيَقْبِضُوا بِأَيْدِيهِمْ عَلَى الْأَسْمَاكِ
الْمَخْرُجَةِ مِنَ الْغُدْرَانِ الطَّافِحَةِ
وَمِيَاهِ الْمَطَرِ تَجْرِي فِي جَدَاوِلِ
عَبْرِ الدَّرُوبِ الضَّيِّقَةِ
وَتَخْتَنِي كَطِفْلِ مَرِحٍ يُعَابِثُ أُمَّهُ
بِمُرَاوَعَتِهِ وَاخْتِفَائِهِ.
إِضْعُ ، إِنَّ أَحَدًا يَهْتَفُ بِصَاحِبِ
الْقَارِبِ عِنْدَ مَعَابِرِ النَّهْرِ
يَا طِفْلِي ، إِنَّ النُّورَ يُرِيدُ
وَطَرِيقَ الْعُبُورِ مَسْدُودَةً فِي وَجْهِ الْقَارِبِ
إِنَّهُ لَيَبِيدُوا أَنَّ السَّمَاءَ تَرَكُّضُ فِي جُمُوحِ
فَوْقَ الْمَطَرِ الْمُتَسَاقِطَةِ بِعُنْفٍ
وَمِيَاهُ النَّهْرِ تَهْدُرُ بِصَبْرٍ نَافِدٍ
وَالنِّسَاءُ يُسْرِعْنَ الْخَطْوَ
عَائِدَاتٍ مِنَ نَهْرِ الْكِنَجِ ، بِجَرَارِهِنَّ الْمَلَأَى
عَلَيْنَا إِعْدَادَ الْفَوَائِيسِ

فلا تَخْرُجْ يا طِفْلِي، لا تَخْرُجْ
إِنَّ طَرِيقَ السُّوقِ مَهْجُورَةٌ
وَدَرْبُ النَّهْرِ زَلَقَةٌ
وَالرِّيحُ تَنْفَلِتُ
بَيْنَ أَغْصَانِ البَّامِبُو وَتَعْوِي
مِثْلَ حَيَوانٍ وَحْشِيٍّ
وَقَعَ فِي الشَّبَكَةِ

زوارق الورق

كُلَّ يَوْمٍ
أَعَوْمُ زَوَارِقِي الْوَرَقِيَّةِ
وَاحِدَةً بَعْدَ أُخْرَى
فِي مَجْرَى النَّهْرِ
وَأَكْتُبُ فَوْقَهَا اسْمِي
وَأَسْمَ قَرِينِي
بِأَحْرَفِ سَوْدَاءِ كَبِيرَةٍ
وَالْأَمَلُ يَحْدُونِي بِأَنْ يَعْتُرَ عَلَيْهَا
بَعْضُ النَّاسِ
فِي بَعْضِ الْبُلْدَانِ الْغَرِيبَةِ
فَيَعْرِفُ مَنْ أَنَا

إني أوسقَ زوارقي
 بزُهور الشبوبي التي أقتطفها من حَدِيقَتِنَا
 وَيَحْدُونِي الأمل
 أَنْ تُنْقَلَ زُهور الصَّبَاحِ هَذِهِ
 إِلَى بَلَدِ النُّومِ
 لِنِي أَدْفَعُ بِزَوَارِقِي الوَرَقِيَّةِ
 وَأَرْقُبُ فِي السَّمَاءِ سُحُباً
 تَنْشُرُ أَشْرَعَتَهَا البَيْضَاءَ
 لَا أَدْرِي أَيَّ رَفِيقٍ مِنْ رُفَقَاءِ أَلْعَابِي
 هُنَاكَ فِي السَّمَاءِ
 يَبْعَثُ بِهَا فِي الجَوِّ لُتُنَافِسَ زَوَارِقِي الصَّغِيرَةَ
 وَحِينَ يَهْبِطُ اللَّيْلُ
 أَدْفِنُ رَأْسِي بَيْنَ ذِرَاعِيَّ
 وَأَحْلُمُ بِأَنَّ زَوَارِقِي الوَرَقِيَّةِ

تَمْخُرُ تَحْتَ النُّجُومِ
وَتَرَحَلُ فَوْقَهَا جَنِّيَاتُ النَّوْمِ
بِأَوْسَاقِهَا مِنَ السَّلَالِ الْمَلَأَى بِالْأَحْلَامِ

البحار

زَوْرَقَ الْمَلَّاحِ مَاذُ هُوَ
رَاسٍ فِي مَرَفٍ رَاجِيكُونِي
وَهُوَ مُحْمَلٌ بِالْقِنْبِ . دُونَ جَدْوَى
فَقَدْ كَانَ الْقَارِبَ رَاسِيًا مَكَانَهُ مِنْذُ أَمَدٍ بَعِيدٍ
لَوْ أَجَرَ لِي زَوْرَقَهُ
لَجَهَّزْتُهُ بِالْمَجَادِيْفِ
وَالْأَشْرِعَةِ ، خَمْسَةَ ، سِتَّةَ أَوْ سَبْعَةَ
وَلَنْ تَكُونَ وَجْهَتِي صَوْبَ الْأَسْوَاقِ الْمُعْتَادَةِ
فَإِنِّي أَرْغَبُ فِي أَنْ أَجْتَازَ الْبِحَارَ السَّبْعَةَ
وَالْأَنْهَارَ الثَّلَاثَةَ عَشَرَ ، مِنْ الْبَلَدِ الْمَسْحُورِ
أَمَّاهُ ، لَا ... لَا تَبْكُ
لَا تَبْكُ مِنْ أَجْلِي فِي الْخَفَاءِ
فَلَنْ أَرْحَلَ مِثْلَ (رَامَا شَانْدِرَا)

إلي الغاب ، لأعودَ بعد أربعة عشر عاماً
سَأَكُونُ أَمِيرَ الْأَسْطُورَةِ
وَأَمْلَأُ زورقي بِكُلِّ مَا أريدُ
وسأَحْمِلُ مَعِي صَدِيقِي آشُو
وَنَجْتَازُ الْبِحَارَ السَّبْعَةَ
وَالْأَنْهَارَ الثَّلَاثَةَ عَشَرَ مِنَ الْبَلَدِ الْمَسْحُورِ
سُنْبَجِرُ عِنْدَ الْفَجْرِ
وَحِينَ تَسْتَحْمِينِ فِي الْغَدِيرِ فِي مُتَّصِفِ النَّهَارِ
سَنَكُونُ فِي بَلَدِ مَلِكِ أَجْنَبِي
وَسَنَعْبُرُ وادي (تيربورني)
وَنَتْرَكَ . وراءنا صَحْرَاءَ تَبْتَارَ
وَحِينَ نَعُودُ
يَكُونُ اللَّيْلُ قَدْ خَيَّمَ
وَسَأَقْصُّ عَلَيْكَ
كُلَّ مَا رَأَيْنَا
وَنَحْنُ نَجْتَازُ الْبِحَارَ .
وَالْأَنْهَارَ الثَّلَاثَةَ عَشَرَ ...

الضفة الأخرى

فِي نَفْسِي رَغْبَةٌ لِلذَّهَابِ إِلَى هُنَاكَ
حَيْثُ ضِفَّةُ النَّهْرِ الأُخْرَى
حَيْثُ يَرْسُو ذَلِكَ الصَّفُّ مِنَ القَوَارِبِ
المَشْدُودِ إِلَى أعْوَادِ البامبو
حَيْثُ الرِّجَالُ يَخْرُجُونَ صَبَاحًا بِزَوَارِقِهِمْ
وَقَدْ حَمَلُوا مَحَارِثَهُمْ فَوْقَ أَكْتَافِهِمْ
لِلْعَمَلِ بِحُقُولِهِمُ البَعِيدَةِ
وَحَيْثُ الرِّعَاءُ يَدْفَعُونَ قُطْعَانَ البَقَرِ
لِخَوْضِ المِيَاهِ نَحْوِ المَرَاعِي الخَضِرَاءِ
المُتَدَّةِ عَلَى طُولِ ضِفَّةِ النَّهْرِ
وَيَعُودُونَ مَسَاءً
تَارِكِينَ الذَّنَابَ نَعْوِي فِي الجَزِيرَةِ المَغْطَاةِ
بِأَشجَارِ الأَسَلِ

يا أُمَّاهُ ، حينَ أَكْبُرُ
 أريدُ أَن أَكُونُ مَلّاحٌ مِعْبِرٌ
 إذا كانَ هذا لا يُثِيرُ ضيقَكَ
 يَقُولونَ أَن هُنَاكَ غُدْراناً غَرِيبَةً
 مُخْتَفِيَةً خَلْفَ الهَضْبَةِ
 حيثُ أُسْرابٌ من البَطِّ الوَحْشِيِّ
 تأتي عندَ نِهايَةِ المَطَرِ
 وَأشجارُ الأَسَلِ تنموُ كَثيفَةً
 حَوْلَ فَسائِلِ القَصَبِ حيثُ الطُّيورُ المائِيَّةُ
 تَضَعُ بِيضَها
 وحيثُ يُخَلِّفُ الدِجَاجُ
 بِذُيولِهِ المُرْتَعِشَةَ
 أثارَ بَرائِثِهِ الصَّغِيرَةِ
 فَوَوقَ الوَحْلِ النّاعِمِ النّظِيفِ
 وحيثُ ، عِنْدَ المَساءِ تَدْعُو الأَعْشَابُ العالِيَةُ
 المُمْتَرِنَةُ بِزُهورِها البِيضاءِ
 شُعاعَ الفَجْرِ

ليستريح فوق تموجاتها.
يا أمّاه ، حين أكبر أريدُ أن أكون ملاح معبرٍ
إذا كان هذا لا يُضايقُك
سأجتازُ النهرَ العظيمَ
حيثُةً وذهاباً
من ضفةٍ إلى أخرى
وكُلُّ الصبيانِ والصبايا
بالقريةِ ينظرونُ إليَّ بإعجابٍ
حينَ يغتسلونُ في النهرِ
وحينَ ترتفعُ الشمسُ إلى كبدِ السماءِ
والصباحُ ينتقلُ إلى الضحى
سأهرعُ إليك هاتفاً
يا أمّاهُ إنِّي جائعٌ
سأعودُ حينَ ينتهي النهارُ
ويُخيمُ الظلُّ بينَ الأشجارِ
لن أبعدَ عنك
ولن أرحلَ للعملِ بالمدينةِ مثلَ أبي

يا أمّاه حين أكبر أُريدُ أن أكون ملاحٍ معبرٍ
إذا كان هذا لا يُضايقُك

مدرسة الزهور

حِينَ تَتَوَجَّعُ الْغُيُومُ الْعَاصِفَةُ
 الْقَاتِمَةُ ، فِي السَّمَاءِ
 وَتَهْتَطُّ أَمْطَارُ يُونِيُو بِغَزَارَةٍ
 فَإِنَّ رِيحَ الشَّرْقِ النَّدِيَّةَ
 تَرَّحَفُ فَوْقَ الْأَرْضِ الْجَرْدَاءِ
 لِتَعْرِفَ أَبْوَاقَهَا بَيْنَ قَصَبِ
 شَجَرِ الْبَاصِبِ

حِينَئِذٍ ، تَظْهَرُ فِجَاجَةٌ ، وَمِنْ حَيْثُ
 لَا يَدْرِي أَحَدٌ ، حُشُودٌ مِنَ الزَّهْوَرِ
 وَتَأْخُذُ فِي الرَّقْصِ بِبَهْجَةٍ مَجْنُونَةٍ
 فَوْقَ الْأَرْضِ النَّدِيَّةِ .
 أُمَاهُ . إِنِّي أَعْتَقِدُ حَقًّا أَنَّ الزَّهْوَرَ
 تَذْهَبُ ، إِلَى مَدْرَسَةِ فِي جَوْفِ الْأَرْضِ

وَتَتَلَّقَى دُرُوسَهَا وَرَاءَ أَبْوَابِ مُقْفَلَةٍ

وَإِذَا أَرَادَتْ الْخُرُوجَ إِلَى اللَّعِبِ

قَبْلَ الْوَقْتِ الْمُحَدَّدِ ، فَإِنَّ الْمُعَلِّمَ

يُعَاقِبُهَا وَيُؤَنِّبُهَا

وَهِيَ تَسْتَمْتِعُ بِعُطْلَتِهَا فِي فَصْلِ الْأَمْطَارِ .

وَفِي الْعَابَةِ حِينَ تَتَنَاوَحُ الْأَغْصَانُ

مَعَ الرِّيحِ الْوَحْشِيَّةِ

وَالْأَوْرَاقُ تُرْسِلُ حَفِيفُهَا .

وَعِیُومُ الرَّعْدِ تَضْرِبُ أَيْدِيهَا الْعِمْلَاقَةَ

فَإِنَّ صِغَارَ الزُّهُورِ تُسْرِعُ

إِلَى الْخُرُوجِ بِأَثْوَابِ حُمْرَاءَ وَصَفْرَاءَ وَبَيْضَاءَ

أَتَدْرِينَ يَا أُمَّهُ ، أَنَّ بَيْتَهَا فِي السَّمَاءِ ، حَيْثُ تَوْجَدُ النُّجُومُ

أَلَا تَرِينَ قَلَقَهَا الْبَادِيَ لِلذَّهَابِ

إِلَى هُنَاكَ ، فِي الْأَعَالِي ؟

إِنَّكَ لَا تَعْرِفِينَ سَبَبَ هَذِهِ الْعَجَلَةِ

إِنِّي أُسْتَطِيعُ أَنْ أُحْمِنَ لِمَنْ لَمَنْ تَمُدُّهُ

أذرعها؟
إن لها أيضاً أمّاً مثل أمي

التاجر

تَصَوَّرِي يَا أُمَّاهُ
أَنْ عَلَيْكَ الْبَقَاءُ فِي الْبَيْتِ
وَإِنَّهُ يَنْبَغِي لِي السَّفَرُ إِلَى بُلْدَانِ عَرَبِيَّةٍ
وَتَصَوَّرِي أَنْ سَفِينَتِي جَاهِزَةٌ بِالْمَرْفَأِ
فَكَّرِي جَيِّدًا ، يَا أُمَّاهُ ، قَبْلَ أَنْ تُفْضِي
بِمَا تُرِيدِينَ أَنْ أَحْمِلَهُ إِلَيْكَ عِنْدَ عَوْدَتِي
أُمَّاهُ ، إِنَّكَ تُرِيدِينَ أَكْوَامًا كَثِيرَةً مِنَ الذَّهَبِ
هُنَاكَ عِنْدَ ضَيْفَانِ الْإِنِّهَارِ الْمُدْهَبَةِ
تَمْتَلِيءُ الْحُقُولُ بِالْحَصَادِ الذَّهَبِيِّ الصَّافِي
وَفِي ظِلِّ الْعَابَةِ فَإِنْ أَزْهَارِ الشَّامِبَا
الْمُدْهَبَةِ تَتَسَاقَطُ فَوْقَ الْأَرْضِ

سَأَجْمَعُهَا كُلُّهَا لَكَ فِي مِثَاتِ السَّلَالِ
أَمَاهُ ، أَتَرْغَبِينَ فِي اللَّالِيءِ الْكَبِيرَةِ
الَّتِي تُشْبِهُ قَطْرَاتِ أَمْطَارِ الْخَرِيفِ ؟
سَأَذْهَبُ إِلَى جَزِيرَةِ اللَّالِيءِ
فَهُنَاكَ ، وَفِي نُورِ الصَّبَاحِ الْبَاكِرِ
تَرْتَجِفُ اللَّالِيءُ فَوْقَ زُهُورِ الْمَرَاعِي
وَبَعْضُ اللَّالِيءِ الْبَرَّاقَةِ تَسْقُطُ فَوْقَ الْعُشْبِ
وَبَعْضُهَا يَتَنَاثَرُ فَوْقَ الرَّمَالِ
فِي زَبَدِ أَمْوَاجِ الْبَحْرِ .
أَمَا أُخِي فَسَيَكُونُ لَهُ
حِصَانَانِ مُجَنِّحَانِ لِلطَّيْرَانِ
بَيْنَ الْغُيُومِ
أَمَا أَبِي فَسَأَحْمِلُ إِلَيْهِ قَلَمًا سِحْرِيًّا
يَكْتُبُ مِنْ تِلْقَاءِ ذَاتِهِ

وإليكِ يا أمَّاهِ سَوِّفَ أَحْمِلُ عُلْبَةَ مُجَوَّهَرَاتِ
وَفِيهَا الْجَوَّهَرَةُ الَّتِي تُسَاوِي سَبْعَ
مَمَالِكِ

مشاركة

لو كنتُ مجردَ جرّوٍ صَغِيرٍ

ولست ابْنك

يا أُمّاه

هل تنهريَنني وتُفْضِين أن آكلَ

في صَبْحِك الصَّغِيرِ؟

وتطرديَنني قَائِلَةً:

لِتَبْعُدْ، أيها الجرّوُ الصَّغِيرِ؟

إذا فعلتِ ذَلِكَ يَا أُمّاه

فلنَ أَسْتَجِيبَ إِلَيْكَ

حينَ تدعِيني

ولنَ أسمحَ لَكَ أبداً

بأن تُقدِّمي إِلَيَّ أيَّ طعام

لو كنت ببغاء أخضر اللون
ولست ابنك
يا أمّاه العزيزة
فهل تُقَيِّدِينِي
خَوْفًا مِنْ أَنْ أَطِيرَ بَعِيدًا
وَتُهَيِّدِينِي بِأَصْبَعِكَ
قائلة : أيها الطائر الجحود
عَضُّ قَيْدِكَ لَيْلًا وَنَهَارًا
إِذَنْ ، لِتَذْهَبِي بَعِيدًا يَا أُمَّاهُ
إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَخْتَفِي فِي الْغَابَاتِ
وَلَنْ أَسْمَحَ لَكَ أَبَدًا
بَأَنْ تَضْمِينِي بَيْنَ ذِرَاعَيْكَ

* * *

متفوق

يا أمّاهُ ، إن ابنتكَ غَيِّبَةً صَغِيرَةٌ
 وَعَلَى دَرَجَةِ بِالْغَةِ مِنَ السَّدَاجَةِ الطُّفُولِيَّةِ
 فَهِيَ لَا تَعْرِفُ الْفَرْقَ
 بَيْنَ النُّجُومِ ، وَأَضْوَاءِ الشُّوَارِعِ
 فَإِذَا تَظَاهَرْنَا بِأَكْلِ الْحَصَى عِنْدَ اللَّعِبِ
 فَإِنَّهَا تَنْظُنُّ حَقًّا أَنَّهَا تُؤْكَلُ
 وَتُحَاوَلُ أَنْ تَدْفَعَ بِهَا إِلَى فَمِهَا
 وَإِذَا فَتَحْتَ أَمَامَهَا كِتَابًا
 وَطَلَبْتَ مِنْهَا أَنْ تَقْرَأَ حُرُوفَ الْهِجَاءِ
 فَإِنَّهَا تُمَزِّقُ الصَّفَحَاتِ بِيَدَيْهَا
 وَتَصِيحُ فَرْحًا بِلَا مُبَرِّدٍ
 وَهَذِهِ هِيَ الطَّرِيقَةُ الَّتِي تَقُومُ بِهَا طِفْلَتُكَ
 فِي تَلْقَى دُرُوسِهَا فِي الْقِرَاءَةِ

فَإِذَا صَرَخَتْ فِيهَا وَقُلْتُ لَهَا شَرِيرَةٌ
 فَإِنَّهَا تَضْحَكُ ، وَتَظُنُّهَا فُكَاهَةً
 وَكَلْنَا نَعْرِفُ أَنْ أَبِي غَائِبٌ عَنَّا
 فَإِذَا هَتَفَتْ (يَا بَا) لَعِبَاءً وَلَهْوًا
 فَإِنَّهَا تَلْتَفِتُ حَوْلَهَا مُتَأَثِّرَةٌ
 وَتَظُنُّ أَنْ أَبَاهَا وَقَفَ بِالْقُرْبِ مِنْهَا
 وَحِينَ أُلْقِنُ حَمِيرَ الْغَسَّالِ
 الْمُحَمَّلَةَ بِالْمَلَابِسِ ، دُرُوسًا
 وَأَقُولُ لَهَا إِنِّي أَنَا الْمُعَلِّمُ
 فَإِنَّهَا تَصْرُخُ بِلا سَبَبٍ
 وَتَدْعُونِي دَادَا
 أَنْ ابْتِكِ تُرِيدُ أَنْ تُمْسِكَ الْقَمَرَ
 وَهِيَ سَخِيفَةٌ وَتَدْعُو غَانِسَ ، غُنُوسَ
 أُمَاهُ إِنْ ابْتِكِ غَيْبَةَ صَغِيرَةٍ .
 وَ عَلَى دَرَجَةٍ كَبِيرَةٍ مِنْ سَدَاجَةِ الطَّفُولَةِ .

الرجل الصغير الكبير

أنا صغيرٌ لأنني طفلٌ
ولكني سأصيرُ كبيراً مثلَ أبي
وسَيأتي مُعلِّمي ليقولَ لي .
لقد جِئتُ متأخراً ، خذْ كُتُبَكَ وانصَرِفْ
فأقولُ له ألا تدري بأنني كبيرٌ
وأنه لا يجبُ عليَّ بعدَ اليومِ أن أتلَقِيَ الدروسَ
وسيقولُ مُعلِّمي في دهشةٍ واستغرابٍ
يُمكنك أن تتركَ كُتُبَكَ إذا أردتَ
لأنك صِرتَ كبيراً
وسأرتدي ملابسِي وأتوجَّهُ إلى السوقِ
حيثُ أكثرُ الأُمَكِينَةِ إزدحاماً بالناسِ
وسيسرَعُ الخالُ ليقولَ لي :
سَتَضِعُ ، يا طفلي ، دعني أُمسِكُ بيدَكَ

وسأجيبه ، ألا ترى يا خال
أنني صرتُ كبيراً مثل أبي
فعليّ إذن أن أذهب إلى السوقِ وحدي
وسيقولُ الخالُ وهو يُحدِّقُ فيَّ
يُمكِنُكَ أن تذهبَ حيثُ شئتَ
لأنك صرتَ كبيراً
وستخرجُ أُمي من حمامِها
حينَ أقدمُ إلى المربِيةِ نُقوداً
لأني أعرفُ كيفَ أفتحُ حُصالةَ النُقودِ
بمفتاحي
وستقولُ أُمي عندئذٍ
ماذا تفعلُ أيُّها الشيطانُ الصَّغيرُ
وأقولُ لها (أيا أمّاه ، لتعربي
أنني صرتُ كبيراً مثلَ والدي
وعليّ أن أقدمَ النُقودَ الفِضيةَ
إلى المربِيةِ

وستقولُ أُمي لِنفسِها .
يُمكِنُكَ أَنْ تُعْطِيَ نَقوداً لِمَنْ تَشَاءُ
لأنَّكَ صِرْتَ كَبيراً
وفي إجازاتِ أكتوبر
سيأتي والدي إلى البيتِ
ويظنُّ أنني ما زلتُ صغيراً
وسيحملُ أبي من المدينةِ
أحذيةً صغيرةً وملابسَ حَريرِيَّةَ صغيرةً
فأقولُ لَهُ (يا أُمي
إعطيها لِأخي الأكبرِ
لأنني صِرْتُ كَبيراً مثلكِ
وسيفكرُ والدي في الأمرِ ثمَّ يقولُ :
يُمكِنُكَ أَنْ تشتريَ مِلابِسَكَ
إِذا شِئْتَ ، لأنَّكَ صِرْتَ
كَبيراً .

الساعة الثانية عشرة

أُمَاهُ ، أُرِيدُ أَنْ أُكْفَّ عَنْ الدِّرَاسَةِ
لَقَدْ دَرَسْتُ طَوَالَ الصَّبَاحِ
إِنَّكَ تَقُولِينَ إِنَّهَا الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ
فَلِنَفْرِضْ أَنْ الْوَقْتَ غَيْرُ مُتَأَخَّرِ
أَتُظَنُّ أَنَّهُ الْمَسَاءُ ، فِيمَا هِيَ

الثانية عشرة

يُمْكِنُنِي أَنْ أَتَصَوَّرَ بِيَسْرٍ
أَنْ الشَّمْسَ قَدْ بَلَغَتْ
حَافَةَ حَقْلِ الْأُرْزِ
وَأَنْ صَائِدَةَ السَّمَكِ الْعَجُوزِ
تَجْمَعُ الْعُشْبَ لِطَبْخِ الْعِشَاءِ
قُرْبَ ضِفَّةِ الْعَدِيرِ
يُمْكِنُنِي أَنْ أُغْمِضَ عَيْنِي

وأفكر في أن الظلال قد أصبحت
تتكاثف تحت شجر المدر
ومياه الغدير
تبدو نقطة سوداء لامعة
لو أمكن للثانية عشرة أن تأتي
ليلاً..
لماذا لا يأتي الليل في الثانية عشرة

حِرْفَةُ الْكَاتِبِ

تَقُولِينَ أَنَّ أَبِي يَكْتُبُ أَكْذَابًا مِنْ الْكُتُبِ
وَلَكِنِّي لَا أَعْرِفُ مَا يَكْتُبُهُ
لَقَدْ قُلْتُ لَكَ طَوَالَ الْمَسَاءِ
وَلَكِنْ هَلْ أُمَكَّنُكَ حَقًّا أَنْ تَفْهَمِي شَيْئًا
مِمَّا يَرِيدُ أَنْ يَقُولَ؟
يَا لَهَا مِنْ قِصَصٍ رَائِعَةٍ تِلْكَ الَّتِي تَرَوِينَهَا
يَا أُمَّاهُ
لِإِذَا لَا يَكْتُبُ أَبِي مِثْلَهَا
أَلَمْ يَسْمَعْ أَبَدًا مِنْ أُمَّهُ قِصَصَ الْعَمَالِقَةِ
وَالْحُورِيَّاتِ وَالْأَمِيرَاتِ؟
أَمْ نَسِيَهَا كُلُّهَا؟
غَالِبًا ، حِينَ يَتَأَخَّرُ عَنِ الْأَسْتِحْصَامِ
أَرَأَيْكَ تُنَادِيهِ مِثَّةً مَرَّةً

وتَظَلِّينَ فِي انْتِظَارِهِ ، وَتُوسِّكِينَ
بِأَوْعِيَةِ الْمَاءِ السَّاحِنِ
وَلَكِنَّهُ يَسْتَمِرُّ فِي الْكِتَابَةِ
ثُمَّ يَنْسِيَ الْاسْتِحْمَامَ

ساعي البريد الشرير

لِمَاذَا تَجْلِسِينَ فَوْقَ الْبِلَاطِ
هَادِئَةً ، سَاكِتَةً ، يَا أُمَّاهُ ؟
وَالْمَطَرُ يَنْفِذُ مِنَ النَّافِذَةِ الْمَفْتُوحَةِ
فَيَلَلُّكَ ، دُونَ أَنْ تَكْتَرِثِي بِذَلِكَ
أَلَا تَسْمَعِينَ دَقَّاتِ السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ ؟
إِنَّهَا السَّاعَةُ الَّتِي يَعُودُ فِيهَا أَخِي مِنَ الْمَدْرَسَةِ
مَا الَّذِي حَدَثَ لَكَ . وَلِمَاذَا أَنْتِ
غَرِيبَةٌ الْأَطْوَارِ
أَلَمْ يَكْتُبْ لَكَ أَبِي الْيَوْمَ رِسَالَةً ؟
لَقَدْ رَأَيْتُ سَاعِي الْبَرِيدِ يَحْمِلُ
فِي حَقِيئَتِهِ رِسَائِلَ لِأَغْلَبِ سُكَّانِ الْبَلَدَةِ
وَلَكِنْ رِسَائِلَ أَبِي يَبْدُو أَنَّهُ يَحْتَفِظُ بِهَا لِنَفْسِهِ
إِنِّي لَعَلَى يَقِينٍ بَأَنَّ هَذَا السَّاعِي رَجُلٌ

سَيِّءٌ

ولكن لا تخزني لذلك ، يا أمّاه
 غدا هو يوم السوق ، في القرية
 فأبعثي الخادمة لكي تشتري ورقاً وقلماً
 فسوف أكتبُ لك ، أنا. رسائل أبي
 ولن تجدي خطأ واحداً فيها
 سأكتبها كلها من الألف الى الياء
 ولكن لِمَ تبتسمين؟ يا أميمة.
 ألا تصدقي ، أنني قادرٌ على أن أكتبَ كتابةً جيّدةً
 كما يفعلُ أبي؟
 سوف أسطرّ الورق تسطيراً دقيقاً
 وأكتبُ كلَّ الكلمات بحروفٍ كبيرةٍ جميلةٍ
 وحين أنهي رسالتي الصغيرة
 فلا تُفكرِي في أنني سأكونُ من الغباءِ
 بحيث أودعُها ، كما يفعلُ أبي
 تلك الحقيقة المفزعة

التي يَحْمِلُهَا سَاعِي الْبَرِيدِ
سَأَحْمِلُهَا إِلَيْكَ بِنَفْسِي دُونَ تَبَاطُؤِ
وَأَقْرَأُهَا لَكَ كَلِمَةً ، كَلِمَةً
إِنِّي أَعْرِفُ أَنَّ السَّاعِي لَا يَجِبُ
أَنْ يَحْمِلَ إِلَيْكَ الرَّسَائِلَ الْجَمِيلَةَ
حَقًّا

البتل

يَا أُمَّاهُ ، لِتَتَصَوَّرَ أَنَّنَا نَتَأَهَّبُ لِلرَّحِيلِ
إِلَى بَلَدٍ مَجْهُولٍ غَرِيبٍ مَحْفُوفٍ بِالْمَخَاطِرِ وَالْأَهْوَالِ
أَنْتَ رَاحِلَةٌ فَوْقَ هُوْدَجِكَ
وَأَنَا أَرْكُضُ فَوْقَ مُهْرِي الْأَحْمَرِ إِلَى جَوَارِكِ
وَالْوَقْتُ مَسَاءٌ ، وَالشَّمْسُ تُتَمِيلُ لِلْغُرُوبِ
وَمَرُوجِ (جَوَارِدِي) رَمَادِيَّةٌ وَاهِنَةٌ
وَالْأَرْضُ جَافَةٌ وَمَوْحِشَةٌ
وَأَنْتِ قَدْ شَعَرْتَ بِالْخَوْفِ ، وَأَخَذْتِ فِي التَّفْكِيرِ وَالسُّؤَالِ
لَا أَدْرِي إِلَى أَيْنَ وَصَلْنَا ؟
فَأَجِيبِكِ يَا أُمَّاهُ لَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي .
وَالسَّهْلُ مُغَطَّى بِالْأَعْشَابِ الْوَاحِزَةِ
وَالطَّرِيقُ ضَيِّقَةٌ وَمُنْعَزَلَةٌ
وَلَا تَشَاهِدُ الْقُطْعَانَ فِي الْحُقُولِ

فقد عادت كُلُّهَا إلى حَظَائِرِهَا
وَالظُّلْمَةَ تَسُودُ الْأَرْضَ وَالسَّمَاءَ
وَنَحْنُ لَا نَدْرِي وَجْهَتَنَا عَلَى التَّحْدِيدِ
وَفَجْأَةً نَهْتَفِينِ بِي ، وَتَسْأَلِنِي هَمْسًا
أَيُّ نُورٍ هَذَا الَّذِي يَتَلَأُّ هُنَاكَ
قُرْبَ الْهَضْبَةِ؟
وَحِينَئِذٍ يُسْمَعُ صُرَاخٌ مُخِيفٌ
وَبَعْضُ الشُّخُوصِ تَهْبُّ مُسْرِعَةً نَحْوَنَا
وَأَنْتِ جَالِسَةٌ فَوْقَ هَوْدَجِكَ
وَتَصِلِينَ مُرَدِّدَةً جَمِيعَ أَسْمَاءِ الْآلِهَةِ
وَيَرْتَجِفُ الْحَمَّالُونَ مِنَ الْخَوْفِ
وَيُخْتَفُونَ بَيْنَ الْأَدْغَالِ الشَّائِكَةِ
وَأَصْرُخُ فَيْتُ أَمَاهُ لَا تَخَافِي .. إني هُنَا
وَسَأَدْفَعُ عَنْكَ
وَبِأَيْدِيهِمْ عِصِيٌّ طَوِيلَةٌ
وَشَعُورٌ مَنفُوشَةٌ فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ
يَقْتَرِبُونَ مِنَّا

فأصْرِحُ فِيهِمْ ، احْتَرَسُوا أَيُّهَا الْأُنْدَالُ
فَإِذَا تَقَدَّمْتُمْ خُطْوَةً أُخْرَى
فَسَيَكُونُ مَصِيرَكُمْ الْمَوْتُ
وَيُرْسِلُونَ صَرْحَةً أُخْرَى
وَيَنْدَفِعُونَ إِلَى الْأَمَامِ
وَتُمْسِكِينَ أَنْتَ بِيَدِي
يَا طِفْلِي الْعَزِيزِ ، أَسْأَلُكَ بِحَقِّ
السَّمَاءِ أَنْ تَبْتَعِدَ عَنْهُمْ
وَأَقُولُ لَكَ يَا أُمَّاهُ (... رَاقِي
مَا أَفْعَلُ)
ثُمَّ أَدْفَعُ جَوَادِي فِي رُكْضَةِ جَمُوحِ
وَالسَيْفِ وَالتَّرْسِ يُقَعِّعَانِ
وَالْمَعْرَكَةَ رَهِيئَةً جَدًّا
قَدْ تَبَعْتُ فِي أَطْرَافِكَ الْإِرْتِعَاشَاتِ الْبَارِدَةَ
لَوْ رَأَيْتَهَا مِنْ فَوْقَ
وَيَهْرَبُ الْكَثِيرُ مِنْهُمْ

وَيُضْحِي بَعْضُهُمْ أَشْلَاءَ مَمْرَقَةٍ
وَأَعْرِفُ أَنْكَ تَفَكَّرِينَ وَأَنْتِ
جَالِسَةٌ مَنْفَرِدَةً ، أَنْ ابْنَكَ
قَدْ قُضِيَ عَلَيْهِ
وَلَكِنِّي أَجِيشُكَ ، مَخْضَبًا بِالِدَّمَاءِ
وَأَقُولُ لَكَ يَا أُمَامِ ، لَقَدْ انْتَهتِ الْمَعْرَكَةُ
فَتَخْرُجِينَ إِلَيَّ وَتُقْبَلِينِي وَتَضْمِينِي
إِلَى قَلْبِكَ
وَتَقُولِينَ وَأَنْتِ تَتَحَدَّثِينَ إِلَى نَفْسِكَ
لَا أَدْرِي مَا كَانَ يُمَكِّنُنِي أَنْ أَفْعَلَ
لَوْ لَمْ يَكُنْ لِي ابْنٌ يَحْرُسُنِي
فِي كُلِّ يَوْمٍ تَقَعُ آلَافُ الْحَوَادِثِ
الَّتِي لَا جُدُوى مِنْهَا .
لِمَاذَا لَا يُصْبِحُ مِثْلَ هَذَا الْخِيَالِ حَقِيقَةً ؟
سَتَكُونُ مِثْلَ أَقَاصِيصِ الْكُتُبِ
وَيَقُولُ أَخِي ... أَهَذَا مُمَكِّنٌ ؟

كنتَ أَظنَّكَ ضَعِيفاً .
وفي القرية يَقُولُ الجَمِيعُ في دَهْشَتِهِ
أليسَ من حُسْنِ الحَظِّ
(أَنَّ الطِفْلَ كَانَ مَعَ أُمَّهِ)

النهاية

لقد حانتُ ساعةُ الرَّحيلِ ، يا أمَّاهُ .
وإني أتأهَّبُ للرَّحيلِ
وعِندَ الظُّلْمَةِ التي تَشحُبُ عِندَ الفَجْرِ الوَليدِ
تمدِّينِ ذِراعِكِ في الفراشِ
بِحُثٍّ عن طِفْلِكَ الصَّغِيرِ
فَسَوْفَ أَقُولُ لَكَ
أَنَّ الطُّفْلَ غَيْرَ مُوجُودٍ ، يا أمَّاهُ
وإني أتأهَّبُ للرَّحيلِ
سَأصيرُ تياراً واهناً مِنَ الهِواءِ .
وسأداعِبُكَ
وسأصيحُ موجاتِ صَغِيرَةٍ في المِاءِ
وحينَ تَسْتَحِمِّينِ فيه
فَسَوْفَ أَقْبِلُكَ وَأَعادُ التَّقْبيلَ

وفي ليالي العاصفةِ
 حينَ تَسْقُطُ الأمطارُ فوقَ الأوراقِ
 ستصغين إلى هامساً في سريركِ
 وبريقُ ضحكتي
 سيدخلُ في عُرفكِ معَ أضواءِ البرقِ
 عبرَ النافذةِ المفتوحةِ
 وإذا سهرتِ إلى ساعةٍ متأخرةٍ من الليلِ
 مُفكرةً في ظفلكِ
 سوفَ أغنيكِ من فوقِ النجومِ
 ترنيمَةً ... نامي يا أميمةُ
 وسأحطُ خلسةً فوقَ سريركِ
 معَ أشعةِ القمرِ الشاردةِ
 وسأستريحُ في أحضانكِ
 بينما أنتِ مُستغرقةٌ في النومِ
 سأصبحُ حلمًا ، وأتسللُ إلى أعماقِ نومكِ
 عبرَ أجفانكِ
 وحينَ تستيقظينَ

وَتَفْقِدِينَ مَا حَوْلَكَ
خَائِفَةً مُرْتَجِفَةً
فَلِنِي أَحْلِقُ هَارِباً فِي الظلامِ
مِثْلَ الحُجَابِجِ الصَّغِيرِ الضَّئِيلِ
وَحِينَ يَجْرِي الإِحْتِفَالُ الكَبِيرُ
بِعِيدِ (بُوجَا)
وَيَأْتِي أبنَاءُ الجِيرَانِ لِلْعَبِ
حَوْلَ البَيْتِ
فَلِنِي سَامِتْرَجُ بِأَلْحَانِ النَّايِ
وَأُنِضُ طِوَالَ النَّهَارِ فِي قَلْبِكَ
سِتَائِي الحَالَةَ الصَّغِيرَةَ بِهَذَا يَأِ العِيدُ
وَتَسْأَلُكَ ، يَا أختَاهُ ، أَيْنَ طِفْلُنَا
فَسَتَقُولِينَ لَهَا فِي لُطْفٍ ، يَا أُمَّهُ
إِنَّهُ فِي بُوبُوِيءِ عَيْنِي
وَفِي جَسَدِي ، وَفِي قَلْبِي .

النداء

عندما رَحَلْتُ
كانت الليلة مُظْلِمَةً
وكانوا يَنَامُونَ
وَمَا تَزَالُ اللَّيْلَةُ مُظْلِمَةً
حِينَ نَادَيْتُهَا
عُودِي يَا حَبِيبَتِي
إِنَّ الْكَوْنَ نَائِمٌ ،
وَلَنْ يَدْرِي أَحَدٌ بِكَ
إِذَا عُدْتِ إِلَيَّ بِرُهْمَةٍ وَاحِدَةٍ
فَإِنَّ النُّجُومَ تُحَدِّقُ فِي النُّجُومِ .
عَندَما رَحَلْتُ
كَانَتِ الأشْجارُ تُزْهِرُ

والرَّبيعُ في رَيْعَانِهِ
والآن، كُلُّ الأَزْهَارِ تَفْتَحَتْ
وأنا أدعُوها
عُودِي يَا حَبِيبَتِي .
إن الأَطْفَالَ يَجْمَعُونَ الأَزْهَارَ وَيَشْرُونَهَا
في لُعبَةٍ عَابِثَةٍ
فإذا عُدَّتِ
وأخذتِ زَهْرَةً
فَلَنْ يَفْطِنَ لِذَلِكَ أَحَدٌ
فالذِينَ اعتادُوا اللَّعِبَ
ما يَزَالُونَ غَارِقِينَ فِيهِ
هكذا، هي الحَيَاةُ
وَأَسْمَعُ ثَرْتَرَتَهُمْ
فأهْتَفُ
عُودِي يَا حَبِيبَتِي .

إِن قَلْبَ الْأُمِّ يَطْفَحُ بِالْحُبِّ
فَإِذَا عُدَّتِ وَانْتَرَعَتْ مِنْهَا
قُبْلَةً صَغِيرَةً وَاحِدَةً
فَلَنْ تُثَبِّرَ حَسَدَ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ . .

الياسمينات الأولى

آه، هذه الياسمينات
هذه الياسمينات البيضاء
تعيدُ إلى ذِكْرِي اليَوْمِ الأولِ
الذي ملأتُ فيه كَفِّي
بهذه الياسمينات
الياسمينات البيضاء
لقد أَحْبَبْتُ نُورَ الشَّمْسِ
وكانت السَّمَاءُ خَضْرَاءَ
والأَرْضُ كُلُّهَا خَضْرَاءَ
وأصغَيْتُ إلى خَرِيرِ النُّهْرِ
في ظُلْمَةِ اللَّيْلِ
أما أَصَائِلُ الخَرِيفِ

فقد جَاءَت لاسْتِثْبَالِي
فِي أَفْصَى مُنْعَطَفَاتِ الطَّرِيقِ
مِنَ الْأَرْضِ الْمَهْجُورَةِ
كَأَنَّهَا عَرُوسٌ
تَرْفَعُ خِمَارَ ثَوْبِ عُرْسِهَا
لِكَيْ تُقْبَلَ حَبِيبِهَا
وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّ ذِكْرِي
الْيَاسْمِينَاتِ الْأُولَى الْبِيضَاءِ
الَّتِي وَضَعْتُهَا فِي يَدِي
حِينَ كُنْتُ طِفْلاً
مَا تَزَالُ حُلْوَةً عَذْبَةً
لَقَدْ نَعِمْتُ بِأَيَّامِ عَدِيدَةٍ هَائِلَةٍ
فِي حَيَاتِي
وَضَحِكْتُ مَعَ أَصْدِقَاءِ مُبْهَجِينَ
فِي لَيَالِي الْعِيدِ

وفي الأيام الرمادية الممطرة .
غَنَيْتُ أُغْنِيَاتِ خَامِلَةٍ
وَطَوَّقْتُ عُقْبِي
بِعِقْدِ (باكولا)
الذي ضَفَرَتْهُ يَدُ المَوْتِ
ومَعَ ذلك
فإن الذُّكْرَى مَا تَرَالُ
حُلْوَةً عَذْبَةً
لِتَلُكِ اليَاسْمِينَاتِ . . البَيْضَاءِ الأُولَى
التي ضَمَّمْتُهَا بِيَدِي
عِنْدَمَا كُنْتُ طِفْلاً صَغِيراً . . .

شجرة البنيان

يا شجرة البانيان
ذات الأطراف المهملّة
القائمة عند ضيفّة الغدير
لقد نسيت الطفل الصغير
مثل نسيانك الطيور التي حطت فوقك
وصنعت أوكارها
بين أغصانك ، ثم طارت عنك
وهجرتك؟
ألا تذكرين كيف كان يجلس إلى النافذة
ملاحظاً في دهشة
تشابك جذورك التي تغوص
في أعماق الأرض .
النساء يذهبن لملء الجرار

عند الغدير
وظلُّكِ الأسودُ الهائِلُ
يتلوى فوقَ الماءِ مثلَ نَعَّاسٍ
يُقَاوِمُ من أجلِ اليَقْظَةِ .
وضوءُ الشمسِ
يرْقُصُ فوقَ الأمواجِ
مثلَ مكوكاتِ صغِيرَةٍ غيرِ مُسْتَقِرَّةٍ
تَنسِجُ دِيباجاً مُدَهَّباً .
وبطَّانٍ تَسْبَحَانِ في الغديرِ
قُرْبَ الضَّفَّةِ المَغْطَاةِ بالأَسَلِ
والطِّفْلُ يَجْلِسُ صَامِتاً مُسْتَعْرِقاً في التَّفْكِيرِ
يَتَمَنَّى أن يَكُونَ رِيحاً
تُصَفِّرُ بَيْنَ أَغْصَانِكِ الهَفَّافَةِ
أن يَكُونَ ظِلًّا يَمْتَدُّ معَ النَّهَارِ
فوقَ المَاءِ
أن يَكُونَ عُصْفُوراً يَحُطُّ فوقَ أعلى الغُصُونِ

وَأَنْ يَسْبَحَ مِثْلَ ذَلِكَ الْبَطِّ
بَيْنَ الْأَثَلِ وَالظَّلَالِ...

مباركة

لِتُبَارِكُ هَذَا الْقَلْبَ الصَّغِيرَ
هَذِهِ الرُّوحَ الْبَيْضَاءَ الَّتِي كَسَبَتْ
قُبْلَةَ السَّمَاءِ لِأَرْضِينَا
إِنَّهُ يُحِبُّ نُورَ الشَّمْسِ
وَيُحِبُّ رُؤْيَةَ وَجْهِ أُمِّهِ
وَلَمْ يَتَعَلَّمْ بَعْدُ كَيْفَ يَحْتَقِرُ التُّرَابَ
وَلَمْ يَتَلَقَّنْ شَهْوَةَ الْحُصُولِ عَلَى الذَّهَبِ
فَضَّمَهُ إِلَى قَلْبِكَ وَبَارَكَهُ
لَقَدْ جَاءَ إِلَى هَذَا الْبَلَدِ
حَيْثُ تَتَقَاعَمُ مِثَاتُ الطُّرُقِ
وَلَا أَعْرِفُ كَيْفَ اخْتَارَكَ مِنْ بَيْنِ الْجُمُوعِ الْحَاشِدَةِ

وَجَاءَ إِلَى بَابِكَ ، وَأَمْسَكَ بِيَدِكَ
إِنَّهُ سَيَتَّبِعُكَ ضَاحِكًا
وَقَدْ خَلَا قَلْبُهُ مِنْ أَيِّ شَكٍّ
فَلْتَحَفَظْ لَهُ ثِقَّتَهُ فِيكَ
وَلتَقُدَّهُ إِلَى الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ
وَلتُبَارِكُهُ
وَضَعْ يَدَكَ فَوْقَ رَأْسِهِ
وَلتُصَلِّ مِنْ أَجْلِهِ
حَتَّى إِذَا ثَارَتِ الْأَمْوَاجُ مِنْ تَحْتِهِ
فَإِنَّ الرِّيحَ مِنْ فَوْقِهِ تَنْفُخُ أَشْرَعَتَهُ
وَتُدْفَعُهُ إِلَى مَرَفَأِ الْأَمْنِ وَالسَّلَامِ
وَفِي اسْتِعْجَالِكَ
لَا تَنْسَهُ
وَدَعَهُ يَقْتَرِبُ مِنْ قَلْبِكَ
وَبَارِكُهُ

رَغَبَاب

حِينَ يَدُقُّ الطَّبْلُ العَاشِرَةَ صَبَاحاً
أَسِيرٌ نَحْوَ المَدْرَسَةِ
وَفِي كُلِّ يَوْمٍ
أَقَابِلُ فِي طَرِيقِي بَائِعاً مُتَجَوِّلاً يَهْتَفُ :
أُسُورَةَ ، أُسُورَةَ بُلُورِيَّةَ
لَا شَيْءٍ يَدْفَعُهُ إِلَى العَجَلَةِ
وَلَيْسَ هُنَاكَ طَرِيقٌ يَتَوَجَّبُ عَلَيْهِ سُلُوكُهَا
وَلَا مَكَانٌ يَتَحْتَمُّ أَنْ يَذْهَبَ إِلَيْهِ
وَلَا سَاعَةٌ مُحَدَّدَةٌ يَعُودُ فِيهَا إِلَى بَيْتِهِ
أُرِيدُ أَنْ أَكُونَ بَائِعاً مُتَجَوِّلاً
وَأَنْ أَهْتَفُ كُلَّ يَوْمٍ فِي الشَّارِعِ
أُسُورَهُ ، أُسُورَةَ بُلُورِيَّةَ ،
وَفِي الرَّابِعَةِ مَسَاءً

حين أعودُ من المدرّسة إلى بيتي
أرى عبر البوّابة
بُستانياً يعزّقُ الأرضَ
وهو يفعلُ بِمِسْحَاتِهِ ما شاءَ
ويُلطِّخُ أثوابه بالترابِ
ولا أحدٌ يلومه أو يعنّفه
إذا لفَحَتْهُ الشَّمْسُ ، أو قرّرَ الإسْتِحْمَامَ
أريدُ أن أكونُ بُسْتَانِيّاً
أعزّقُ الحديقةَ طولَ اليومِ
دُون أن يُوقِضني أحدٌ
وما تكاد تهبُّ الظُّلْمَةُ في المساءِ
وتدعُوني أمي إلى النومِ
أرى عبر النافذة
حارساً يدرعُ الطَّرِيقَ جيئةً وذهاباً
الطَّرِيقُ مهجورةٌ ومُظلمةٌ
والفانوسَ قائمٌ مُستقيمٌ كأنه عِملاق

يَعِينُ حَمْرَاءَ وَاحِدَةً فِي رَأْسِهِ
وَيَهْزُ الْحَارِسَ الْفَانُوسَ
وَيَسِيرُ إِلَى جَانِبِ ظِلِّهِ
وَلَا يَذْهَبُ لِلنَّوْمِ طَوَالَ الْحَيَاةِ
أُرِيدُ أَنْ أَكُونَ حَارِسًا
وَأَذْرُعَ الشُّوَارِعَ لَيْلًا
جِيئَةً وَذَهَابًا
وَأَطْرِدَ الظُّلَالَ بِمِصْبَاحِي

الهدية

أريدُ أن أُعْطِيكَ شَيْئاً، يَا بُنَيَّ .
نظراً إلى أننا نَسَاقُ إلى تَيَّارِ الكونِ الجَارِفِ
فإن حَيَاتِنَا سَتَفْتَرِقُ
وَحُبُّنَا سَيُنْسَى
وَلَكِنِّي لَسْتُ غَيِّباً إلى هذا الحَدِّ
حتى أرجو شِرَاءَ قَلْبِكَ بِهَدَايَايَ .
شَابَّةٌ غَضَّةٌ هِيَ حَيَاتُكَ
وَطَوِيلَةٌ هِيَ طَرِيقُكَ
وَأنت تَشْرَبُ في جُرْعَةٍ وَاحِدَةٍ
الحُبَّ الذي نَحْمِلُهُ إِلَيْكَ
ثُمَّ تَلْتَفِتُ وَتُشِيحُ عَنَّا وَتَهْرَبُ مِنَّا
إن لَكَ أَلْعَابَكَ وَرُفَقَاءَ لَهْوِكَ

وَأَيَّ ضَمِيرٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَدَيْكَ الْوَقْتُ
لِتَفَكَّرَ فِينَا؟

سَيَكُونُ لَنَا وَقْتُ كَافٍ

عِنْدَ الشَّيْخُوخَةِ

لِكِي نَعُدَّ الْأَيَّامَ الَّتِي مَرَّتْ

وَلِكِي نَحْفَظَ فِي قَلْبِنَا

مَا فَقَدْتُهُ أُيْدِينَا إِلَى الْأَبَدِ .

إِنَّ النَّهْرَ يَمْضِي مُسْرِعاً وَمُعْتَبِئاً

مُكْتَسِحاً كُلَّ الْحَوَاجِزِ

وَلَكِنَّ الْجِبَالَ تَظَلُّ بَاقِيَةً وَمُتَذَكَّرَةً

وَهِيَ تُتَابِعُهُ بِحُبِّهَا

* * *

أغنيتي

أغنيتي هذه
ستلّفُ موسيقاها حولك
وتطوّقك يا بني كأذرعِ الحبِّ .
أغنيتي هذه
ستلمسُ جبهتك
كقُبلةِ البركةِ .
وحينَ تكونُ وحدك
ستجلسُ هيَ إلى جوارك
وتهمسُ في أذنك همساتها .
وحينَ تكونَ بينَ حشودِ الناسِ
فلإنها ستسورُك بِعَدَمِ الاكثيراتِ
وستكونُ أغنيتي

جَنَاحَيْنِ لِأَحْلَامِكَ
وَتَحْوِيلُ قَلْبِكَ إِلَى حُدُودِ الْمَجْهُولِ
سَتَكُونُ لَكَ كَالنَّجْمَةِ الْمُخْلِصَةِ
فِي أَعَالِي السَّمَاءِ .
تَهْدِيكَ الطَّرِيقَ حِينَ يَشْتَدُّ ظَلَامُ اللَّيْلِ .
وَأُغْنِيَنِي هَذِهِ
سَتَجْلِسُ فِي بُوْبُي عَيْنَيْكَ
وَتَحْوِيلُ بَصْرَكَ عَلَى النَّظَرِ فِي قَلْبِ الْأَشْيَاءِ
وَحِينَ يُسْكِتُ الْمَوْتَ صَوْتِي
فَإِن أُغْنِيَنِي سَوْفَ تَتَحَدَّثُ إِلَيَّ قَلْبِكَ .

العقد الأخير

صَرَخْتُ فِي الصَّبَاحِ
تَعَالُوا، اشْتَرُونِي
وَأَنَا أَمْشِي فَوْقَ الطَّرِيقِ الْمُبْلُطَةِ
فَجَاءَ الْمَلِكُ فَوْقَ عَرَبَتِهِ
شَاهِرًا سَيْفَهُ
وَأَمْسَكَ بِيَدِي قَائِلًا:
سَأَشْتَرِيكَ بِسُلْطَانِي
وَلَكِنَّ سُلْطَانَهُ لَمْ يُسَاوِ شَيْئًا
وَرَجَعَ فَوْقَ عَرَبَتِهِ .
وَفِي وَهَجِ الظَّهِيرَةِ
كَانَتْ أَبْوَابُ البُيُوتِ مُغْلَقَةً
وَكُنْتُ أَجُوبُ الطَّرِيقَ الْمُتَوِيَّةَ

وخرَجَ رَجُلٌ يَحْمِلُ كَيْسًا مِنَ الذَّهَبِ
وَتَأْمَلْنِي ثُمَّ قَالَ :
سَأَشْتَرِيكَ بِثُقُودِي
وَوَازِنِ ثُقُودِهِ قِطْعَةً قِطْعَةً
وَلَكِنِّي تَابَعْتُ طَرِيقِي
وَكَانَ الْمَسَاءُ

وَسِيَّاحُ الْحَدِيثَةِ كَانَ مُغَطَّى بِالزُّهُورِ
وَوَخَّرَجَتْ صَبِيَّةٌ جَمِيلَةٌ وَقَالَتْ :
سَأَشْتَرِيكَ بِابْتِسَامَتِي
وَلَكِنِ ابْتِسَامَتَهَا تَلَاشَتْ
وَانْفَرَطَتْ فِي دُمُوعٍ
وَعَادَتْ وَحَدَّهَا فِي الظُّلَامِ .

كَانَتْ الشَّمْسُ تَلْمَعُ فَوْقَ الرَّمَالِ
وَأَمْوَاجُ الْبَحْرِ تَنْكَسِرُ نَائِرَةً مُزِيدَةً ،
وَطُفِيلٌ كَانَ حَائِسًا يَلْهُو بِالْقَوَافِعِ

فَرَفَعَ رَأْسَهُ نَحْوِي

وَبَدَأَ كَأَنَّهُ يَبْعُرْفُنِي

وقال :

سَأَشْتَرِيكَ بِإِلَاشِيء .

وَمِنْ تِلْكَ اللَّحْظَةِ جَعَلَ مِنِّي الْعَقْدُ

الَّذِي أُبْرِمَ عَنْ طَرِيقِ اللَّعِبِ

إِنْسَانًا حُرًّا

الملاك الطفل

لِئَنَّهُمْ يَصْرِهُونَ وَيَتَّصِرُونَ

وَيَشْكُونَ وَيَقْنَطُونَ

وَمَعَارِكُهُمْ لَا تَعْرِفُ النَّهَائِيَةَ .

فَلتَكُنْ حَيَاتِكَ بَيْنَهُمْ

يَا بُنَيَّ

مِثْلَ لَهَيْبِ النُّورِ

صَافِيَةً وَقَادَةً

تُذْهِلُهُمْ بِسِحْرِهَا .

لِئَنَّهُمْ قُسَاةٌ

فِي حَسَدِهِمْ وَأَطْمَاعِهِمْ

وَكَلِمَاتِهِمْ مِثْلَ السَّكَاكِينِ الْخَفِيَّةِ

ظَامِيَةٌ إِلَى الدَّمِّ
فَاذْهَبْ إِلَيْهِمْ ، وَأَقِمْ يَا بُنَيَّ
بَيْنَ قُلُوبِهِمُ الْعَايِسَةَ .
وَضَعَ نَظْرَاتِكَ اللَّطِيفَةَ فَوْقَهُمْ
مِثْلَ أَمْنِ الْمَسَاءِ الرَّجِيمِ
يُخَيِّمُ عَلَى صِرَاعِ النَّهَارِ .
دَعَهُمْ يَتَأَمَّلُونَ وَجْهَكَ
يَا بُنَيَّ وَيُحَدِّثُونَ إِلَيْهِ
وَلِيَتَعَرَّفُوا هَكَذَا عَلَى مَعْنَى كُلِّ الْأَشْيَاءِ
وَاعْمَلْ عَلَى أَنْ يَحْبُوكَ وَأَنْ يَتَحَابُّوا .
تَعَالَ بَعْدَ ذَلِكَ وَخُذْ مَكَانَكَ
فِي قَلْبِ اللَّائِنِهَائِي يَا بُنَيَّ
وَافْتَحْ قَلْبَكَ عِنْدَ الصَّبَاحِ مِثْلَ الزُّهْرَةِ
الَّتِي تُنَوِّرُ

وَعِنْدَ الْغُرُوبِ
إِخْشَاعٌ فِي صَمْتٍ
وَتَمِّمُ عِبَادَةَ النَّهَارِ

* * *



International Commission of the Algebraic Geometry (ICAG)
International Commission of the Algebraic Geometry

مَنْ أَنْتَ أَيُّهَا الْقَارِيءُ
الَّذِي سَتَقْرَأُ شِعْرِي بَعْدَ مِثَاتِ الْأَعْوَامِ
لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَبْعَثَ إِلَيْكَ
زَهْرَةً وَاحِدَةً مِنْ تَرْوِيقِ هَذَا الرَّبِيعِ الزَّاهِرِ
وَلَا خَيْطًا ذَهَبِيًّا
مُنْسَابًا مِنَ السُّحْبِ الْبَيْيْتِيِّ
أَفْتَحُ الْأَبْوَابَ
وَأَنْظُرُ حَوْلَكَ
وَمِنْ بُسْتَانِكَ الزَّاهِرِ
أَقْطُبُ الذُّكْرِيَّاتِ الْعَطِيرَةَ
لِلزُّهُورِ الَّتِي ذَبَلْتَ مِنْذُ مِثَةِ عَامٍ
وَفِي فَرْحَةٍ قَلْبِكَ
يُمْكِنُكَ أَنْ تُصْنِفِي إِلَى الْبَهْجَةِ الْحَيَّةِ
الَّتِي هَمَّتْهَا أَنَا فِي صَبَاحِ رَبِيعِي
مُرْتَبِلًا صَوْتَكَ الْفَرْحَ الْبَهِيمَ
عَبْرَ مِثَاتِ الْأَعْوَامِ

الهدايا العربية للكاتب

المقر الرئيسي : شارع غومة الحمودي - ص.ب : 3185 طرابلس - الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية
- الهاتف : 30384 - 47287 - تلکس : 20003 الكتاب
الفرع الرئيسي : 4 ، سنج 7101 - المنار 2 ص.ب : 1104 القباضة الأصلية 1000 تونس - الجمهورية التونسية
- الهاتف : 236600 - 236025 - تلکس : 14966 كتاب